مفهوم الرضا بين الله والإنسان

"The concept of contentment between God and man

فلسفة أدبية

د. محمد حسين محجوب

الطبعة الأولى

2021م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية - بورسعيد

عنـــوان الكتاب: مفهوم الرضا بين الله والإنسان

اســـم المـؤلف: د. محمد حسين محجوب

التصنيف الأدبي: فلسفة أدبية

رقـم الإيـــداع: 3599 / 2021

الترقيـم الدولي: 8 - 94 - 6749 - 977 – 978

تـصـميـم الغلاف: م. شيماء منير

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

مفهوم الرضا بين الله والإنسان

The concept of contentment between God and man

فلسفة أدبية

د. محمد حسين محجوب

2021

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
ديوان العرب
حقق حلمك

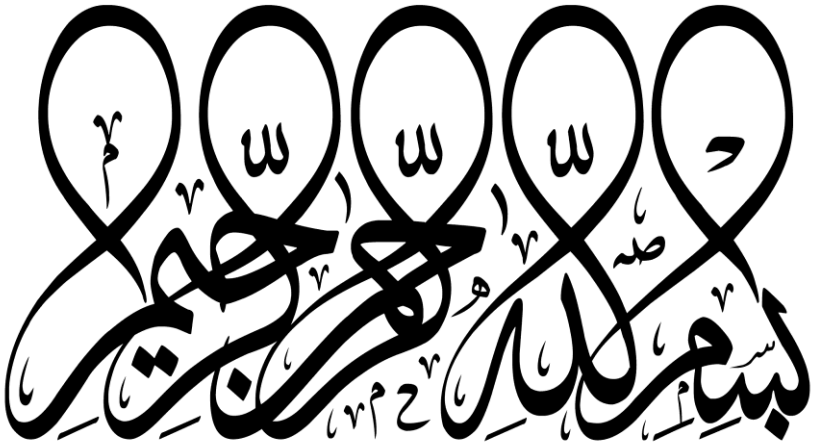
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الباحثين عن الرضا في حياة الدارين،

الصادقين في ذلك

د. محمد حسين محجوب

❊❊❊❊

المقدمة Introduction

"آلية الرضا تكمن في نقيضه، عدم الرضا، مثل الحياة تكمن في كنه الموت، والموت تكمن في كنه الحياة. ومن هنا تكون فلسفة الرضا. في عدم الاكتمال. يقول القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني ت 596 هجرية في رسالة بعث بها إلى العماد الأصفهاني. "إنّي رأيتُ أنّه ما كَتَبَ أحَدُهُم في يَومِهِ كِتاباً إلا قالَ في غَدِهِ، لوغُيّرَ هذا؛ لَكانَ أَحسن، ولَو زُيِّدَ ذاكَ؛ لَكانَ يُستَحسن، ولَو قُدِّمَ هذا، لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ ذاكَ لَكانَ أجمل. وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليلٌ على استيلاءِ النّقْصِ على جُملَةِ البَشر"أهو"[1] يدخل هذا الكتاب في الدراسات الحقلية أو البينيّة **Interdisciplinary** بموضوعه الموسوم (الرضا)، لأن هذا المفهوم يدرس موضوعاً قابلاً لأن يُتَنَاولَ في عديد العلوم مثل: علم الإدارة **Management science** الذي يُعرّف بأنّه العملية العقلانية التي يتمّ من خلالها أخذ قرارٍ ما، ويشمل ذلك كلّ التقنيات الإدارية ومنها التركيز على استخدام مفاهيم النظم، واستخدام نظم المعلومات الإدارية، واستخدام طرق حلّ المشكلات، وربط النظام التعليمي مع كلّ الأنظمة الموجودة، مثل: الاجتماعية، والاقتصادية،

[1] حاجي خليفة، " كشف الظنون " 17/1.وينظر الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، لمحمد النهروالي.

والسياسية، لخلق موارد بشرية أكثر إنتاجاً، وفاعليةً، وقدرةً على التنمية في جانب الرضا الوظيفي.

وكذا علم الدين **The science of religion** الذي هو: عبارة عن مجموعة من المبادئ والقيم، التي يعتنقها مجتمع من المجتمعات اعتقاداً، وقولاً، وعملاً. في مسألة الرضا الديني بما يتضمنه من رضا بين الله والإنسان، والإنسان وأخيه الإنسان.

وعلم السياسة **political science** الذي قدمت جامعة كولومبيا تعريفاً لعلم السياسة ينص على: أنه العلم الذي يقوم بدراسة الحكومات والمؤسسات، وعديد من من السلوكيّات والممارسات التي يقوم بها السياسيون. وما يحمل عليه في التراضي بين الحاكم والمحكوم، وكيفية صياغة الدساتير في سَوْس الرعية. وهو جوهري في الأبحاث الفلسفية **Philosophical research**،كما يشهد بذلك تاريخ الفلسفة وبما تتضمنه من علاقات بينها وبين العلوم الأخرى.

وهو يعبر عن الدراسات البينيّة كما ذكرتها في بعض كتبي السابقة مثل كتاب: (فلسفة العلم البيني **Interstitial philosophy**) الذي سلمته إلى وزارة الثقافة منذ مدة لغرض طباعته، وكتاب: (الماء بين النجاسة والتلوث **Water between impurity and pollution**) الذي يوظف عديد العلوم مثل: علم الكيمياء، وعلم المياه،

وعلم الدين من خلال أحكامه، من أجل الوصول إلى نتائج منطقية وموضوعية للأسئلة التي قمت بطرحها.

ودعوت قبل عدة سنوات إلى تبني فكرة الدراسات البينيّة **Interworking studies** في الأقسام الفلسفية، لأن فكرة بناء مذاهب فلسفية حديثة كما كان في الماضي أصبح أمراً شبه مستحيل، ولكن التعاون في دراسة قضية معينة بشكل بيني أمر ممكن، ومن الأمثلة على ذلك قضية التحوير الجيني **Genetic modification** والتحوير النباتي **Phyto modulation**، وكذلك القضية السياسية فيما يتعلق بالأمن الغذائي **Food security** على مستوى العالم وعديد القضايا غيرها.

وعند الحديث عن مفهوم الرضا **The concept of contentment** تتداعى للذهن عديد المعاني والتساؤلات وهي التي شكلت الإشكالية لدراسة هذا المفهوم، ومحاولة تبصر عديد الرؤى له من خلال مجالات بحثية متعددة، منها: ما مفهوم الرضا في البحث الفلسفي؟ أي: ماذا يعني؟ هذا المفهوم **Concept** في البحث المشهور بتأصيل المفاهيم ووضعها في مركزها المنطقي، وهل هناك رضا بين الفلاسفة عن القضايا التي يعرضونها؟ ومن الأمثلة على ذلك رفض أرسطو **Aristotle 385** ق.م **323**ق.م على غرار كزينوفان **xenophane 430** ق. م **480** ق. م وهرقايطس **Heraclitus 535** ق.م **475** ق.م، الأفكار المتداولة عند الإغريق التي ترى في الحلم

تعبيراً عن رؤيا تنبؤية بالمستقبل، وينفي أن يكون الحلم علامة أو سبباً لواقعة قد تأتي في وقت لاحق، وكذلك يبدو غير مهتم برمزية الحلم وبُعدها السردي مركِّزاً انتباهه على الوهم الذي ينتجه عند الإنسان والهلوسات التي تنجر عنه، ويبتعد كذلك عن موقف أفلاطون في محاورة الجمهورية الذي يسند للنفس قدرة على التحرر من المكان والزمان أثناء النوم واستفاقة في اتجاه البحث عن الحقيقة، ويستبعد فرضية أن ينتج الإنسان النائم معرفة من الجانب المدرك من النفس أو الجانب العقلاني، ويفسر بروز الأوهام بكونها من إنتاجات الخيال، وهل شعورهم الشخصي تجاه بعضهم بعضاً يؤثر في فكرة الرضا؟ وهل هناك فيلسوف شعر بالرضا في كل أو جل مواقفه الفلسفية تجاه قضية محددة؟ كما تُعرض أسئلة أخرى من قبيل: ما معنى الرضا في علم النفس؟.

حيث يرى بعض البُحَّاث أن الرضا في مصطلح علم النفس: هو ما يتضح من بعض المتغيرات المتعددة، التي لها علاقة بالرضا الوظيفي ومفهومهُ، وهي متغيرات متنوعة، كما أن مفهوم الرضا الوظيفي لا يدل عليه تعريف بذاته، فهو متعدد المعاني، ومن المعاني ما يشير إلى مفهوم الرضا في الحياة بصيغٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ، وهي تدعونا إلى التفكير المتأني عن موضوع الرضا. كما يقدم سؤالاً عن النشاط العلمي، يقول: هل يوجد رضا بين العلماء في نظريات علم معين؟ وليكن علم الفيزياء مثلاً؟ ويضيف سؤالاً آخر متى

بدأ الاهتمام بفكرة الرضا الوظيفي؟ تشير المراجع إلى أن العقود الثلاثة الأولى هي البداية. و مع تعدد الدراسات التي تناولت الرضا الوظيفي، فإنه ما زال هناك اختلاف في تحديد تعريفٍ أو مفهومٍ واضحٍ ومحددٍ لهذا المصطلح.

يقوم هذا العمل على دراسة وتحليل مفهوم الرضا **The concept of contentment** في أبعاد جوهرية منها: البعد الفلسفي **Philosophical dimension**، والبعد الديني **Religious dimension**، وهو هنا وقفاً على الدين في شرائعه الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام. والبعد السياسي **The political dimension**، وهو النِتاج البشري وما يرتبط به في الحياة الدنيا.

ويمكن القول بأن الديانة اليهودية في مسألة الرضا عند أتباعها تقوم على الجانب الديني، يتضح ذلك من خلال التصور الذي يقول " اليهودية، وهي أول وأقدم الأديان التوحيدية الثلاث الكبرى، وهي ديانة وطريقة حياة الشعب اليهودي؛ وهي تستمد شرائعها وعقائدها الأساسية من التوراة، وهي أول خمسة أسفار من الكتاب المقدس. وإن أهمّ تعاليم وعقيدة الديانة اليهودية هي الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي يريد لجميع الشعوب أن تفعل ما هو عادل ورحيم. فالرضا هنا وبحسب التوصيف النظري يَكّمُن في الالتزام بعبادة الله وحده، كما تقول النصوص بغض

النظر عمّا يطبق في الواقع، وخصوصاً في أرض فلسطين وضد الفلسطينيين اليوم.

وتقول الشريعة المسيحية عن مفهوم الرضا على لسان أحد أعلامها: قداسة البابا (تواضروس) بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في عظته عن حياة الرضا." إن الله كان مشغولاً بالإنسان قبل خلقه، وأعد له كل شيء، والإنسان بمثابة فرحة غامرة بقلب الله، الذي لم يخلق الإنسان صدفة، وإنما لهدف يعلمه الله، وأكد أن هناك ثلاثة جوانب تجعل الإنسان يعيش حياة الرضا، وهي: القبول، والطاعة والتسليم، الإيمان والثقة، الرضا والتسليم الداخلي لله، وتابع: إنه من دون القبول والطاعة والتسليم لن يشعر الإنسان بحياة الرضا، ومن يرى أن أفكاره هي الصائبة فحسب فلن يحيا حياة الرضا، فحياة التسليم القلبي الداخلي لله يُشعر الإنسان بالراحة النفسية، وضرب مثالاً بإبراهيم أبي الأنبياء كان مطيعاً، وعاش حياة التسليم لله، واستشهد بالآية التي تقول: "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، والثقه في تدبيرات الحكيمة لله، مؤكداً أن الإنسان الذي يعيش حياة التسليم يشعر بأنه شبعُ. وقال ألغوا «اشمعنى»• و«لا» واستطرد: لتعيشوا حياة الرضا لا بد من ممارسةِ عمليةِ لهذه الحياة، وعليكم تجنب

• اشمعنى»، كلمة مصرية قديمة ذات أصول قبطية تتكون من مقطعين، «ايش» بمعنى ليه، أو إيه أو إزاى، و«معنى» وتعنى مغزى أو دليل أو سبب أو أمارة. لتكون كلمة اشتهرنا بها ونكررها في اليوم أكثر من مرة تعبيرا وسؤالا عن مضمون: «لماذا هم، وليس أنا من ضمنهم؟» أو المعنى بطريقة عكسية، «لماذا أنا من دونهم؟».

كلمة أشمعنى، لأنها كلمة ضارة لحياة الرضا، فإنها كلمة تجرح حياة الرضا، وعليكم أن تعوّدوُا أبناءكم بألا يعتادوا على تلك الكلمة حتى لا يخرجوا من إطار حياة الرضا"[2].

وفي الإسلام لمفهوم الرضا مجال كبير في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهو عمل عظيم من أعمال القلوب، ومن رؤوسها،" والرضا: ضد السخط، وفي الحديث (اللّٰهُمَّ إني أعوذ برضاك من سخطكَ) والرضا: يقال في عيشةٍ راضيةٍ، أي: مرضيةٍ ذات رضا، والرضوان: الرضا الكثير، والرضا في الشرع الإسلامي: رضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد أن يراه مؤتمراً بأمره، منتهياً عن نهيه، وأرضاه: أي أعطاه ما يرضى به، وترضَّاه: أي طلب رضاه"[3] ولمَّا كان أعظم رضا هو رضا الله سبحانه وتعالى؛ خُصَّ لفظ الرضوان بما كان من الله عز وجل قال تعالى: "يبتغون فضلاً من الله و رضواناً" سورة الحشر، الآية: (8)،" أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه"[4] و قال عز و جل: "يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان" سورة التوبة، الآية: (21)، وإذا نظرنا إلى هذا الرضا في القرآن فإننا سنجده في عديد من المواضع، منها: قول الله عز وجل في العمل ابتغاء مرضاته سبحانه "ومن الناس من يشري

[2] موقع المسيحي الحر الشبكة العنكبوتية
[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة" رضا خلق" الشبكة العنكبوتية.
[4] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني، ص:227

نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد"سورة، البقرة الآية: (207)، قال ابن لكثير في هذه الآية" عن ابن عباس، أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحبه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم، فأنزل الله ذم المنافقين ومدح خبيب وأصحابه، وقيل: بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم،وهذا قول قتاده، و مجاهد، والربيع، بن أنس وغير واحد، وهو الصحيح"[5] ومعنى يشري نفسه: يبيع نفسه بما وعد الله به المجاهدين في سبيله، ابتغاء مرضاة الله: أي: أن هذا الشاري يشـري (يكون مشترياً حقاً) إذا اشترى طلب مرضاة الله.

ويقدم هذا الكتاب فرضية مفادها "لن يُرضَى عنك إلا إذا، وفقط إذا"، وهذا يعني تحديد بؤرة هذا البحث في رؤية معينة تقوم على مصادقات معينة، وهي وجود الرضا بين طرفين، منها:

(الرؤية الدينية) للرضا بالمسلم في شريعتين أو ملتين سماويتين سبقت في وجودها التاريخي على وجه الأرض الدين الكامل وهو الإسلام وهما: الشريعة اليهودية من خلال أتباعها، والشريعة المسيحية من خلال أتباعها، لأن المسلم يؤمن بهاتين الشريعتين بالضرورة بناء على إيمانه بالقرآن. الذي اكتمل بنزول القرآن العظيم على قلب سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم وهو المحدد لعلاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بالإنسان. وهنا يقدم

[5] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني، ص: 126.

السؤال المنطقي القائل: هل هناك قبل هذا النزول نزول؟ أقول نعم، هناك نزول القرآن بمعنى الإثبات في اللوح المحفوظ، وهناك نزول القرآن بمعنى الإثبات في بيت العزة في السماء الدنيا، وهناك النزول الثالث على قلب سيدنا محمّد. ويمكن الاستفادة في معرفة هذا الموضوع بالرجوع إلى كتاب العلّامة (محمّد عبد العظيم الزرقاني) الموسوم مناهل العرفان في علوم القرآن.

وهناك (رؤية فكرية) وهذه تتمحور في الأبحاث الفلسفية التي قدمتها عقول البشر وكان أساسُ قيامها - كما ترى، جلُّ التصورات أرضَ اليونان، بما فيها من أفكار ونظريات عن الوجود، وعن المحرك الأول قال بها الفلاسفة، وربما تغيروا عنها فيما بعد. وكذلك (رؤية سياسية) أشارت إليها الشرائع، وكذلك الرؤية الفكرية الفلسفية وحاول التطبيق السياسي من خلال رؤاه ترسيخها على أرض الواقع. وقد تم ترتيب الكتاب على الصورة التالية: تكون من أربعة فصول إضافة إلى مقدمة، وخاتمة، وقائمة مراجع، وهي:

1- الفصل الأول بعنوان:

"مفاهيم أساسيّة": **Chapter one concepts**

فيه تناولت مجموعة من المفاهيم مثل: مفهوم الإكراه **Coercion**، ومفهوم الصبر **Patience**، ومفهوم السكوت **Keep quiet**. وذلك من أجل تبيان

الصورة المنطقية لمفهوم الرضا **the satisfaction** وكذلك أشرت إلى علاقة مفهوم الرضا ببعض المفاهيم مثل: علاقة مفهوم الرضا بالنفس، وعلاقة مفهوم الرضا بالفن، وعلاقة مفهوم الرضا بالقانون.

2- الفصل الثاني بعنوان:

"فكرة الرضا في الفلسفة" **The idea of contentment in philosophy**

وفيه تناولت هذه الفكرة عند عدد من أعلام الفلاسفة، مثل أفلاطون ورؤيته في مسألة قيادة الفيلسوف للمدينة في كتابه الجمهورية، ثم فكرة عدوله عن هذا التصور الذي بُني على رضا، ولكنه عدل فيما بعد بفكرة الرضا على حكم القانون في محاورة السياسي والقوانين، كما أشرت إلى تصور مكيافلي في كتابه الأمير، ولا شك أن رأي أرسطو لم يغب عن هذا الفصل.

3- الفصل الثالث بعنوان.

"الرضا في الجانب الديني" **Satisfaction on the religious side**

تناول هذا الفصل فكرة الرضا بين الله والإنسان، وحدد شروطها ومتطلباتها، والرضا بين الإنسان والإنسان، واسترشد بالنصوص الدينية وخصوصاً النصوص القرآنية، وتحدث عن تصورات عديد العلماء والمقامات التي يكون فيها مفهوم الرضا بذاته

4- الفصل الرابع بعنوان:

"الرضا السياسي" **Political satisfaction**

في هذا الفصل تم التطرق إلى تعريف السياسة في رأي الفقهاء ورأي علماء السياسة، وكان التركيز منصباً على الجانب التطبيقي، وما مارسه بعض الحكام في أزمنه معينة، وما ترتب عليه من تقسيم المجتمعات إلى مواطنين وغير مواطنين، وأشار إلى فكرة الدساتير، وكذلك بعض الثورات التي قادها العلماء، وكيفية الردود عليها وإذلال أهل العلم. هذا كله ما سيتم تناوله بالتفصيل وفق الآتي. وفي الختام فإني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور محمّد مصباح المغربي المجري عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية الإسلامية. (ليبيا) الذي تفضل مشكوراً بمراجعة الكتاب في جوانبه اللغوية.

****

الفصل الأول: مفاهيم

Chapter one concepts

يتناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل والمقارنة مجموعة من المفاهيم، التي لها علاقة جوهرية بالموضوع، ويقوم بدراستها من أجل إيضاح الصورة المنطقية لها بشكل متميز للمفهوم المراد دراسته، من خلال تقديم التعريفات اللغوية لتلك المفاهيم، وكذلك التعريفات الاصطلاحية إن وجدت، ومحاولة تقديم تعريفات إجرائية: **Procedural definitions** لها. والمفهوم الإجرائي **Operationism** هو الذي استخدمه (بريد جمان **Williams Bridgman 1882- 1961**م)• واستقاه من علم " الفيزياء، للدلالة على الاتجاه نحو اعتماد المقاييس العلميّة الثابتة والمحدّدة التي يمكن تكرار العمل بها، ويمكنها أن توصلنا إلى مفاهيم أكثر صدقاً، كما أنها على ارتباط وثيق بالواقع الموضوعي، فالمفاهيم الإجرائيّة تستمد معانيَها من العمليّات التجريبيّة "[6] ومفهوم الرضا قد يخضع للمعايير التجريبية في بعض العلوم، مثل العلوم الإدارية، وكذلك العلوم السياسية في حال تطبيقها في المجتمعات البشرية، ومن هذه المفاهيم: (الرضا) **the satisfaction**، (السكوت) **Keep quiet**، و(القبول) **admissions**، و(الخضوع) **Submission**، و(الصبر) **Patience**، و(الذل) **Humiliation** . و(الإكراه) **Coercion**. ونشير إلى نقطة مهمة، وهي أن

• فيزيائي أمريكي حائز على جائزة نوبل للفيزياء عام 1946 لعمله في مجال فيزياء الضغط العالي بعد كان قد تحصل على جائزة رومفورد في عام 1917م.

[6] أسعد رزق، موسوعة علم النفس" الطبعة الثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م، ص: 11

هذه المفاهيم المشار إليها ليست وحدها التي ربما يكون لها علاقة بمفهوم الدراسة، ولكن هي التي تم اختيارها، فاختيار غيرها لا يعني قصوراً أو وقفاً عليها.

أولاً:(الرضا) the satisfaction

تعريف الرضا في اللغة: " ذكر ابن منظورٍ في لسان العرب مادة الرضا: ورضي، يرضى، رضاً - وهو مقصورٌ: ضدّ السخط، وجاء في القاموس المحيط: رضي عنه، وعليه، يرضى، رضاً، ورضواناً، وأرضاه: أعطاه ما يرضيه، واسترضاه، وترضّاه : طلب رضاه، ورضيتُه، وبه: فهو مَرضُيٌّ، ومَرضِيٌّ، والرّضيّ: الضامن، والمحبّ"[7] ، ومن الرضا ضد السخط، قول سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْلَةً مِنْ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: "اللّهُمّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي

[7] على حسين بورويس، الآثار العلمية لصفة الرضا" مجلة رسالة القلم إسلامية ثقافية شاملة، الشبكة العنكبوتية.

ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"[8] ويقال عن الرضا: القبول، والاستحسان، وفي القاموس نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضا: أي بِالقَبولِ وَالاسْتِحْسانِ. والسُّكوت علامة الرِّضا: عبارة تقال دلالة على الموافقة والقبول، وهو لغة مرادف للقناعة "وأرضاه: طلب رضاه. ورضيته، ورضيت به فهو مرضو ومرضي. وارتضاه لصحبته وخدمته"[9]. وهناك عدة ألفاظ تأتي بمعنى الرضا منها:" الركون: في اللغة: رَكَنَ يَرْكَنُ رَكْناً، أي مال إليه وسكن واطمأن إليه. قال تعالى: ''وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ'' سورة، هود، الآية: 113.والعُتبى. معناها في اللغة الرضا. وأعتبه أعطاه العُتبى ورجع إلى مسرته. واستعتبَ طلبَ أن يرضى عنه. والقنى. وقَنِيَ الرّجُل بالكسر قِنًى بوزْن رِضَاً أي صَارَ غَنيّاً ورَاضياً"[10] ويعرف الرضا في المعنى الاصطلاحيّ بأنه "كمال إرادة وجود الشيء، والرضى أخص من الإرادة، وهو قسمان: قسم يكون لكل مكلف، وهو ما لا بدُّ منه في الإيمان، وحقيقته قبول ما يرد من الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره، وقسم: لا يكون إلا لأرباب المقامات، وحقيقته ابتهاج القلب وسرور بالمقضي"[11]، وفي اصطلاح الصوفية

[8] مصطفى محمد عمارة" جواهر البخاري وشرح القسطلاني" .المكتبة التجارية الكبرى،الشركة الشرقية للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، القاهرة، مصر، ص: 559.

[9] الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس" الدار العربية للكتاب، 1984م، ص: 251 .

[10] منتهى محفوظ إبراهيم الجلاد " الرضا دراسة قرآنية" " درجة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نوقشت بتاريخ: 2010/2/18م ص: 20.

[11] جميل صليبا" المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص 616

يعرف الرضا بالقول"الرضا عن الله تعالى في كل ما قضى وقدر، وهو نتيجة رضا الله تعالى عن العبد"[12] وجاء عن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) أنّه سأل جبرئيل (عليه السلام) قائلاً: فما تفسير الرضا؟ فقال جبريل: "الراضي لا يسخط على سيّده، أصاب من الدنيا أم لم يصب، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل"[13] وصفة الرضا من الصفات الأخلاقية المهمّة جدّاً، الّتي يجب على كلّ مؤمنٍ أن يكون متحلّياً بها، وقد ذكر علماء الأخلاق أكثر من تعريفٍ لهذه الصفة الطيّبة، ولا حاجة لذكرها جميعاً، فجميعها يصبّ في مصبٍّ واحدٍ، حيث نستطيع القول: إنّ الرضا: هو قنوع الإنسان، بما حصل عليه، وتركه للاعتراض، والسخط، باطناً، وظاهراً، قولاً، وفعلاً.

وبين الرضا والرضوانَ صلة لا حد لها، وهي أن رضا العبد عن ربه، ورضوانَ الله عن عبده، وإنْ كان كلٌّ منهما يعبّر عن حقيقة مختلفة نظرًا لتعلُّقِهما بالدنيا والآخرة، إلا أن بينهما علاقةً وطيدةً تُشْبِهُ علاقةَ السببِ بالمسبّبِ والعِلَّةِ بالمعلولِ، فإذا ما أعطْيتُم إرادتَكم الجزئيّةَ حقَّها في الدنيا، وعبَّرتم عن رغبتِكم في رضوان ربِّكم، وبذلتم جهدَكم في هذا السبيل شرَّفكم الله برضوانه، نتيجةَ ما قمتم به من سعيٍ وجهد محمودٍ. غير أن

[12] عبدالرزاق الكاشاني"معجم اصطلاحات الصوفية" تحقيق وتقديم وتعليق، عبدالعالي شاهين، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة،مصر، 1992م،ص:248.
[13] العلامة المجلسي " بحار الأنوار"، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثالثة، ج ٦٦، 1983م،الصفحة: ٣٧٣. الشبكة العنكبوتية.

هناك أمرًا علينا أن نفهمَه على الوجهِ الصحيح، ولا نغفلَ عنه، وهو: أن العلاقةَ السببيّة والعِلّيّة بين هذين الأمرين لا تتوافق أو تنطبِقُ مع قانون السبب والنتيجة في العالم المادّيّ؛ لأنكم إن قطّرتم قطرةً واحِدةً من الرضا في الدنيا تبخّرت هذه القطرة، وتَصَّعَّدُ في السماء، وعَظُمَت، حتى تصير بحرًا خِضَمًّا في الآخرة، بيدَ أن القطرة، من حيث قانونُ السبب والنتيَجة لا تفضي إلى بحرٍ البتة، ولكن الحقّ تبارك وتعالى بِلُطْفِهِ الذي لا حدَّ له وبرحمته الواسعة المُغدَقَة قد يحوّل رضاكم عنه الذي يُمثِّل قطرةً في الدنيا إلى محيطٍ متلاطِمِ الأمواجِ في الآخرة، وذلك كله برضاه تعالى، ومن الأمثلة على ذلك أن الحسنة بعشر أمثالها قال تعالى في القرآن الكريم "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" سورة الأنعام، الآية: (160)، يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية الكريمة"عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى:إن ربكم حل وعلى رحيم من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة. ومن همّ بسيئة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله جل وعلا ولا يهلك على الله إلا هالك"[14]من هذه المعاني نجد أن فكرة (الرضا) **The idea of**

[14] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" تحقيق، أ.د. حكمت بن بشير ياسين، الطبعة الأولى،دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية ،1431 هجرية، الجزء الثالث. ص: 650.

contentment تأتي في هيئة مراحل: القبول أولاً، وهنا القبول يكون على نمطين: قبول يتصل بما حصله الإنسان من الله سبحانه وتعالى، وهذا القبول يدخل ضمن دائرة الإيمان بما قسم له، والقبول بما يفعله البشر في المحيط الذي يعيش فيه، ويتفاعل معه، وفي ذلك يدخل قبول الجوانب الفكرية التي لا تهضم حقه وحريته، والمرحلة الثانية السكوت، قولاً وفعلاً على المحصلات والمقدرات الإلهية التي يؤمن بها.

وقد يكون السكوت على بعض أفعال يقوم بها شخص أو مؤسسة أو دولة، وفي المرحلة الثالثة تأتي فكرة الرضا عن الذات أو النفس فيما تقوم به من أفعال ذاتية وأعمال لها علاقة بغيرها، وفي هذا النطاق يمكن الإشارة إلى (الرضا الوظيفي) Job Satisfaction أو (الرضا عن العمل) في بعض التصورات حيث " يُعدُّ بعضُ البحاث الوظيفة الدعامة الأساسية لتحقيق الإنتاجية العالية ورضا الافراد، ويساعد التصميم الجيد للوظيفة على استقطاب أفضل العناصر البشرية لشغل الوظائف والحفاظ عليها"[15]، وسوف نشير إلى الرضا الوظيفي من خلال بعض تعريفاته وآليته، حيث يُعدُّ الرضا الوظيفي من أكثر مواضيع علم الإدارة Management science غموضاً؛ ذلك لأنه حالة انفعالية متعلقة بالمورد البشري يصعب فهمها، وهنا يقترب هذا العلم من مفهوم الرضا في عملية الشعور وآلية تكوّنه،

[15] يزن تيم" إدارة الموارد البشرية أساليب الإدارة الحديثة" ص: 26.

ناهيك عن قياسها بكل موضوعية، ولعل هذا الغموض أدى وحفز العلماء إلى بذل جهد، كانت نتيجته ظهورَ المئات من البحوث والدراسات عن هذا الموضوع، (الرضا الوظيفي) قدمت عدة تعريفات له، من بينها: " الشعور النفسي بالقناعة والارتياح، والسعادة؛ لإشباع الرغبات والحاجات والتوقعات مع العمل نفسه ومحتوى بيئة العمل، ومع الثقة والولاء والانتماء للعمل، ومع العوامل والمؤشرات الأخرى ذات العلاقة "[16]، وقد أجريت كما تقول المراجع العلمية سنة **1976**م - أكثرمن (**3350**) دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية فقط تناولت (الرضا الوظيفي)، وتباينت فرضيات البُحاث لهذا الموضوع فمنهم من عدّ الرضا الوظيفي متغيراً مستقلاً يؤثر في سلوك العمال كالأداء، والتغيب، ودوران العمل والاتصال، وأحياناً أخرى متغيراً تابعاً يتأثر بالأجر والرواتب ونظام المنح والمكافآت وهيكل السلطة ونظام اتخاذ القرارات، إضافة إلى عدم اتفاق الباحثين على تعريف دقيق (للرضا الوظيفي) خصوصاً في حال البحث عن التعريف المنطقي الشهير الذي يسمى بالتعريف الجامع المانع الذي يجمع كل مصدقات المفهوم ويمنع دخول مصادقات أخرى. وهوما أدى إلى تعدد نواحي الدراسة.

[16] إيناس فؤاد نواوي فلمبان " الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة" المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى بمكة، 1428 ، - 1429 هجرية، درجة ماجستير، 2016، ص: 9 .

وقد خضع مفهوم الرضا الوظيفي لرؤى فكرية عديدة مستمدة من التطورات في العوامل البيئية الخاصة به والمجسدة له، وهذا يدل - كما أشرنا في مقدمة الكتابَ إلى أن هذا المفهوم يدرس بشكل بيني أو حقلي. ولهذا تباينت أفكار الباحثين حيال صياغة تعريف محدد للرضا الوظيفي، ويعود هذا التباين إلى تعرض بعض المهتمين به وفقاً لطبيعة تخصصاتهم، وفي هذا الخضم من البحث والتنقيب قدمت عديد التعريفات الخاصة بمفهوم الوظيفة من عدة محاور من بينها: " بالنسبة لدراسة التنظيم يكون التركيز على النواحي الهيكلية للوظيفة من حيث العلاقات المتبادلة والسلطات والمسؤوليات، وبالنسبة للإنتاج يكون التركيز على المهام التفصيلية للوظيفة، من حيث التتابع والتكامل بين هذه المهام. وبالنسبة للموارد البشرية يكون الاهتمام منصباً على النواحي السلوكية والنفسية"[17]، ومع ذلك وجدت بعض التعريفات له، مثل: تعريف طلعت (إبراهيم لطفي) الذي نصه:

"الرضا الوظيفي هو مجموعة المشاعر الوجدانية الإيجابية التي يشعر بها الفرد اتجاه عمله أو وظيفته، التي تعبر عن مدى الإشباع الذي يحققه العمل بالنسبة للفرد. فالتعريف السابق يقترب في دلالته من التعريف القائل إن الرضا الوظيفي: "عبارة عن مشاعر العاملين تجاه أعمالهم، وأنه

[17] يزن تيم" إدارة الموارد البشرية أساليب الإدارة الحديثة" ص: 27 .

ينتج عن إدراكهم لما تقدمه الوظيفة لهم، وما ينبغي أن يحصلوا عليه من وظائفهم،" وعليه كلما قَلّت الفجوةُ بين الإدراكين زاد الرضا الوظيفي، كما أنه محصلة للاتجاهات الخاصة نحو مختلف العناصر المتعلقة بالعمل في المنشأة"[18]، كذلك تعريف فروم القائل:"الرضا الوظيفي اتجاه إيجابي من الفرد إلى عمله، الذي يمارسه وتعريف ستون **Stone** الذي مضمونه الرضا الوظيفي هو الحالة التي يتكامل فيها الفرد مع وظيفته وعمله ويصبح إنساناً تستغرقه الوظيفة **Absorbance is a logical principle** ويتفاعل معها من خلال طموحه الوظيفي ورغبته في النمو والتقدم وتحقيق أهدافه الاجتماعية من خلالها.

وفي هذا الجانب التكيفي مع العمل "قدمت عدة نظريات للتكيف الوظيفي منها: نظرية التكيف الوظيفي، حيث قام كل من جرين، داوس وويز **Graen, Dawis and Weiss** عام **1968**م بدراسة عن هذا الموضوع، وأفادوا بأن الرضا الوظيفي هو محصلة التوافق أو التكيف الفعال ما بين حاجات الفرد التي تعززها دوافع الحاجة، لتحقيق الذات في إطار نظام العمل. ويعتقد هؤلاء بأنه بالإمكان الاستدلال على تأقلم الموظف مع وظيفته من خلال معرفة مدى التوافق بين شخصية الموظف في عمله وبيئة

[18] إيناس فؤاد نواوي فلمبان **"** الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة**"** المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى بمكة، 1428 ، - 1429 هجرية، درجة ماجستير، 2016، ص: 12.

العمل"[19]، كما قُدمّ لمفهوم الرضا تعريفٌ من مركز البحوث بجامعة ميتشجان يصفه بالقول: الرضا الوظيفي هو ذلك الارتياح الذي يستخلصه العامل من الأوجه المختلفة لانتمائه للمشروع.

ويلاحظ من عينة التعاريف السابقة أن بعضهم يعرفه من منطلق أنه إشباع لحاجات الفرد المتوقعة من الوظيفة، ويعرفه بعضهم الآخر على أنه استجابة العوامل العاطفية نحو عمله، كما يعرف بموقف العامل من عمله وبناء على الرؤى السابقة وتعريفاتها لمفهوم الرضا الوظيفي يمكن وصفه بأنه: رد فعل شعوري في محيط الاستجابة الفردية للفرد بمقدار ما تشبعه مكانته المادية والاجتماعية من خلال انتمائه للمنظمة أو جهة العمل التي يتبعها وبحسب توقعه منها وطبيعة شخصيته، وفي سياق ذلك يمكن القول إن حياة الإنسان ومن خلال رضاه الوظيفي تكوّن جزءاً من ذلك الرضا الأمر الذي يسمح بتعريف الرضا عن الحياة بالقول: بأنه الطريقة التي يُظهر بها الناس مشاعرهم وأحاسيسهم، وكيف يشعرون بشأن توجهاتهم وخياراتهم للمستقبل، وهو مقياس للرفاهية يُقيّم من حيث المزاج والرضا عن العلاقات والأهداف المُحققة والمفاهيم الذاتية والقدرة الذاتية المدركة للتعامل مع الحياة اليومية.

[19] إيناس فؤاد نواوي فلمبان " الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة" المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى بمكة، 1428 ، - 1429 هجرية، درجة ماجستير، 2016، ص: 58.

الرضا عن النفس Complacency

نَفس: لغة (اسم) والجمع : أَنْفُسٌ، ونُفوسٌ، والنَّفْسُ: الرُّوحُ. والنفس لغوياً لها أكثر من تعريف، فهي تعني الرّوح، أو الدم، أو الجسد أو الحسد، ونفس الشيء بمعنى عينه. ويوجد اختلاف في الثقافات، وحتى في رؤى بعض من أساتذة علم النفس عن تصور مفهوم النفس، قال بعض العلماء بأنها: ذلك النشاط الذي يميز الكائن الحي ويسيطر على حركاته. وفي الفلسفة القديمة عرف أرسطو النفس بالقول: "هي المبدأ الأول للحياة، والإحساس، والفكر"[20] وفي نطاق الرضا عن النفس التي أقسم الله بها في القرآن الكريم في قوله تعالى: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴿1﴾وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴿2﴾"سورة القيامة. يتضح قيمة وغيبية ما يحمله مفهوم النفس (**Soul**) من معاني ودلالات، ربما عُرف بعضها، ولكن أغلبه ما زال مجهولاً عن الإنسان وعلومهن بالرغم من التطور في العلم، وكذلك التقنية. وقد خصص الإنسان علماً لدراستها سمّاه علم النفس **Psychology** تقول المعاجم عن دراسة النفس" كان القدماء يعدون (علم النفس) فرعاً من الفلسفة؛ لاشتماله عندهم على البحث في حقيقة النفس، وعلاقتها بالبدن، وبقائها بعد الموت، أما المحدثون فإنهم يجردون علم النفس من كل طابع فلسفي، ويطلقون عليه اسم السيكولوجيا (**Psychologie**) فالسيكولوجيا عندهم هي البحث في ظواهر النفس، للكشف عن قوانينها،

[20] جميلس صليبيا" المعجم الفلسفي " الجزء الثاني، ص: 492 .

لا البحث في جوهر النفس"[21]، ويعرف مفهوم النفس في موسوعة علم النفس بالقول:" اصطلاح استخدمه العالم النفساني (كارل يونغ) للدلالة على الجزء الجوّاني (الداخلي) من الشخصيّة، وهو الجزء القائم على اتصال مع العقل الباطن أو اللاشعور"[22] وهناك تعبير آخر يطلقه علماء النفس عليها وهو " نفسي- جسدي (سيكوسوماني **Psychosomatic**) متعلّق بالجسم والنفس معاً.

يطلق هذا التعبير الاصطلاح على الارتباط بين الظواهر السيكولوجيّة ـسواء كانت سويّة أم شاذة أم مرضيّةـ والأحوال البدنيّة أو الأوضاع الجسديّة ومتنوعاتها. فهو ناشئ عن التفاعل بين الظواهر الجسديّة والنفسيّة"[23]، وعن مطلب الرضا في الجانب النفسي تقول الخبيرة (راندة حسن): "يجلب السعادة، يحفز النشاط، يقلل من التوتر والقلق والضغط العصبي، يؤدي للشعور بالتوازن النفسي، يقابله على المستوى الصحي كفاءة أعلى، وأداء أفضل"، وهنا يمكن أن يدخل ما يسمى بالرضا عن الواقع، وهو أن يكون الشخص قد أخذ بالأسباب، وفعل كل ما بوسعه، وكل ما يستطيع من أجل التغيير! الحال يبقى كما هو عليه، ولكن لا يتبقى للشخص إلا

[21] جميل صليبا" المعجم الفلسفي " الجزء الثاني، ص: 483 .
[22] اسعد رزق " موسوعة علم النفس" ص: 278 .
[23] موسوعة علم النفس ص: 278 .

الرضا بالأمر الواقع، وهنا قد يكون من الصائب جداً وضع الرضا كمفهوم في حجمه الطبيعي، وهو أنه نسبي، وليس مطلقاً.

وفي مسألة نسبية الرضا يمكن الاستشهاد بنظرية المقاومة للباحث (Landy) حيث قام بتقديم هذه النظرية عام 1978م، وعرفت بنظرية المقاومة، وترى هذه النظرية أن الرضا الوظيفي لدى الفرد يتغير بمرور الزمن على الرغم من ثبات الوظيفة التي يعمل بها، فرضا الفرد يكون عالياً في بداية التحاقه بوظيفته، ثم يضعف شيئاً فشيئاً، ويرى لاندي أن الرضا الوظيفي يدخل في إطار المشاعر العاطفية، وأن هناك عوامل تؤدي بالفرد إلى مقاومة المشاعر العاطفية لدية؛ وذلك لحفظ التوازن ذاتياً، وهذا يؤدي بالفرد إلى تحقيق الرضا عن طريق مقاومة مشاعر عدم الرضا، ويبين لاندي أن هذا العامل الذاتي يقوم بحفظ التوازن عن طريق المقاومة للمشاعر العاطفية المفرطة سواء كانت سلبية أم إيجابية، لأنها تُعد حالة غير طبيعية قد تؤذي الفرد. ويؤكد لاندي أن هذا العامل الذاتي يعد من الوظائف المركزية للجهاز العصبي، كما أن وظيفة الحماية هذه تعتبر مسؤولة عن تفاوت مستويات الرضا الوظيفي بين الأفراد"[24] وهنا يكون

[24] إيناس فؤاد نواوي فلمبان " الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة" المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى بمكة، 1428 ، - 1429 هجرية، درجة ماجستير، 2016، ص: 60 .

السؤال التالي مبرراً: هل سألت نفسك ما الفرق حينما يستسلم الشخص للواقع؟ وحينما يحاول تغيير ذلك الواقع؟.

الاستسلام عندما لا تحاول تغيير الواقع، ولا تقوم بأي خطوة من أجل تحسينه! ثم بماذا؟ تخدع نفسك وتقول: رضيت بالأمر الواقع، في هذا السياق يُقدَمُ سؤال مهم، نصه: هل نفس الإنسان تقوده للخير والفعل الحسن دائماً، الإجابة لا، بمعنى قد تجرُّك نفسك لأفعال ربما رغبتها لحظة، ولكنها لا تحتمل فكرة الرضا عنها؛ يدلل على ذلك الجواب قوله تعالى" وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" سورة يوسف، الآية: (53)، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية" القول بأن الكلام منسوب إلى امرأة العزيز أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك"[25]، ويقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية وقال أبو جعفر: يقول يوسف صلوات الله عليه: وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها، (إن النفس لأمارة بالسوء).

يقول: إن النفوسَ نفوسَ العباد، تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله ، (إلا ما رحم ربي) يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمرُه به من السوء، وبهذا يمكن

[25] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء، 4، ص:518.

القول بنسبية الرضا عندما يكون مصدره الإنسان، وكتب بعض البحاث عن هذا النوع من الرضا يقول: "الرضا عن النفس من أهم الحالات التي على الناس الوصول إليها، لأنّها تجعلهم يترفّعون عن كلّ ما لا يناسبهم، ومن ثم يختارون الأفضل لهم، وكلُّ ما يناسبهم، مع الأخذ في الحسبان أنّ عدم الرضا عن النفس ومجرد السخط عليها لا يغيّر من الواقع شيئاً"[26] وإنّما يؤثر في منهج الحياة بطريقةٍ سلبيّةٍ لذلك يجب على الإنسان أن يعرف الخطوات الصحيحة التي تزيد من شعوره بالرضا عن نفسه، وأن يحاول تطبيقها؛ ليغيّر من واقعه، وألا يقف مكتوف اليدين متذمراً، وتحدد الكاتبة (تمان) خطوات للشعور بالرضا عن النفس.. هي:

1-" أن الشعور بالنعمة يوجب على الإنسان قبل أن يتذمّر، ويصنّفَ نفسه ضمن فئة المظلومين أن يشعرَ بالنعمة التي هو فيها، وأن يتذكّر أنّ كثيرين غيره يتمنّون أن يصلوا إلى الحال الذي هو عليه ولا يعجبه، فالصحّة الجيدة نعمة من الله، تستوجب الشكر، وتغني عن الكثير من الأشياء إن كانت متوافرة، وكذلك توافُّرُ عملاً للشخص،فهذه نعمة تستوجب الشكر، وتزيد من الشعور بالرضا عن النفس.

2-تقبل الذات كما هي يجب على الشخص أن يتقبّل ذاته كما هي، وألا يشعر بالسخط على أيّ شيء هو غير راضٍ عنه، ولا يستطيع تغييره كلون

[26] أفنان أبومفرح" 8 خطوات لتشعر بالرضا عن نفسك" موقع، موضوع، الشبكة العنكبوتية.

البشرة، ونُحُولِ الجسد؛ لأن قبول الذات يُعدُّ مفتاحاً لتقبّل الآخرين، وعدم الشعور بالوحدة، كما أنّه يلغي فكرة أنّ وجود الشخص مع الآخرين بلا فائدة أو بلا جدوى، الأمر الذي يشعره بالرضا عن نفسه.

3-معرفة أن إرضاء الجميع أمرٌ مستحيلٌ فلا أحد يحظى بالقبول التام من جميع الناس، لذلك يجب على الشخص أن يتقبل آراء الناس؛ وألا يأخذ منها السلبي؛ لأنّ ذلك لن يغير شيئاً، وإنّما سيزيد من إحباطه، وسيحدّ من إبداعه، لذلك يفضّل الأخذ بالآراء الإيجابية ومحاولة تطوير النفس؛ لزيادة الشعور بالرضا.

4-مسامحة النفس ومواجهتها يُوجب على الشخص أن يواجه أخطاءه، ومشاكله، وألا يتهرّب منها، ويبحث عن شماعة، ليعلّق عليها إخفاقه، بل عليه أن يبحث عن حلول نافعة تنهي المشكلة، وتغيّر الحال نحو الأفضل، كما لا يجب الاكتفاء بالتأسف على ما حدث، وإنّما محاولة التغيير، لأنَّ ذلك سيزيد من الرضا عن النفس، كما يوجب مسامحة النفس عن كل ما فات؛ لأنّ مسامحتها يمنحها القوّة على الاستمرار، مع الأخذ في الحسبان أن جلد النفس وتأنيبها لا يغير من الواقع شيئاً سوى أنّه يؤخّر الإنسان، ويؤثر في إنتاجيته.

5- تجنب مقارنة النفس بالآخرين: تعد مقارنة النفس بالآخرين سبباً لتعقيد النفس، وتأخيرها عن الآخرين؛ لذلك يجب على الإنسان أن يبحث

عما يميّزه عن الآخرين، وأن يحاول إبراز اختلافاته عنهم، وذلك كفيل بأن يشعره بالرضا عن نفسه؛ لأنّه سيشعر أنّه يمتلك شيئاً لا يمتلكه غيره.

6- البحث عن نقاط القوة: يجب الأخذ في الحسبان أنّ كلّ إنسان لديه نقاطُ قوّة ونقاطُ ضعفٍ، وأنّ الشخص الحَذِق هو من يبحث عن نقاط قوّته ويبرزها، ويؤمن بها، ولا يسمح للآخرين بأن يشككوا بها، ويحاول في ذاته معالجة نقاط ضعفه، علماً بأنّ الإنسان عندما يفكر بنفسه بطريقةٍ إيجابية فإنه يحب نفسه أكثر، ويرضى عنها أكثر.

7-معرفة كيفية حب الآخرين يجب على الإنسان أن يحب نفسه أولاً، وأن يقدّرها، وأن يوفر لها كل ما تحتاجه، ثم يساعد الآخرين، ويهتم بهم، ويحبهم، ويقدم لهم العون، مع الأخذ في الحسبان أن تقديم الآخرين على النفس يشعر الشخص بأنّه مفتقد للحب، وللرضا عن النفس.

8-طلب المساعدة من المختصين"[27].

ينصح بطلب مساعدة المختصين في حال لم تفلح محاولة الشخص لتقبّل نفسه والرضا عنها؛ لأنهم سَيَدُلون الشخص على الطريق الصحيح لدعم ذاته، ومحاولة حبّ نفسه، والرضا عنها. وإضافة لكل ما تقدم فإن من آثار الرضا في النفس تلك الآثار التي يتركها الرضا في النفس، على خلاف تلك

[27] أفنان أبومفرح" 8 خطوات لتشعر بالرضا عن نفسك" موقع، موضوع، الشبكة العنكبوتية.

الآثار التي يتركها الجزع والاعتراض، نجد ارتباط كل الآيات التي تتحدث عن الرضوان المتبادل بين الله تعالى وعباده الصالحين، بالجنة؛ وكأنها تشير إلى أن الرضوان جنة أخرى من جنان الله، وهي جنة لا تختص بالآخرة، بل تعجل للمؤمنين في الدنيا، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ سورة البينة، الآية: (8)، تفسير الآية" أي: يوم القيامة، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، وَرَضُوا عَنْهُ. فيما منحهم من الفضل العميم. وقوله: ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ. أي: هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، قد علم أنه لم يره فإنه يراه"[28] وننتقل بعد هذه اللمحة عن الرضا النفسي إلى نوع آخر من الرضا، وهو يرتبط وبصورة تكاد لا تعطي مجالاً للفصل بهذا الرضا، وهو الرضا شرعاً.

....

الرضا شرعاً (Islamic consent)

الرضا شرعًاً: هو الرضا المرتبط بمعنى من قام على رؤية دينية، وهي في هذا المقام رؤية الشرائع السماوية، ولا صلة لها بالأديان الوضعية مثل:

[28] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء 7، ص: 624

الزرادشتية، أو البوذية، أو الكونفشيوسية، و" يُراد به: تقبُّل ما يقضي به الله عز وجل من غير ترددٍ، ولا معارضة، وهو ارتفاع الجزع في أي حكم كان، ويُعرّف بأنه: سُكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، بأنه اختار له الأفضل، فيرضى به، وتقول كتب الفقه الإسلامي عن الرضا " الرضا بالقدر، هو سرور النفس بفعل الله زيادةً على التسليم، وسببه ثلاثة أشياء: محبة الله تعالى، فإن فعل المحبوب، محبوب ومعرفة حكمته في كل ما يفعل، وأن المالك يفعل في ملكه ما يشاء"[29].

وهنا يُعْرِضَ السؤال التالي: متى يكون الرضا؟ يحدث الرضا عندما يوافق شخص طواعية على اقتراح أو رغبة شخص آخر، وهو مصطلح في الأحاديث الجارية، ولكن قد يكون له تعاريف أكثر تخصصًا في مجالات مثل: القانون، والطب، والبحوث الاجتماعية، التي تخص الدراسات النفسية، والرضا عند أهل التصوف (Mysticism) مقامٌ من مقامات الصوفية، والمقام في الصوفية هي المرتبة، أو المحطة، التي يصل إليها المريد خلال بحثه لإيصال نفسه إلى الله، والمقامات السبعة شبه المتفق عليها هي: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل والرضا. فسابع المراتب هي الرضا أي: القبول بالواقع. ويعدها الصوفيون البوابةَ إلى الله، وهي الجنة على الأرض، ويقسم من يصل إليها إلى ثلاثة أنواع: الولي هم من يقبضون على

[29] محمّد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي " قوانين الأحكام الشرعية" الطبعة الأولى، عالم الفكر، القاهرة، مصر، 1975م، ص: 455.

مشاعرهم عندما تحل بهم المصاعب، حتى تمر. الثاني هم من يَقّبَلُون الله، ويطمحون أن يقبلهم الله، الثالث: يتجاوزون الجزء الثاني لقبول بأن الله وضع مشيئته مسبقاً على كل خلائقه، وحاول " الصوفية المسلمون أن يقوم علم التصوف على أسس عملية أخلاقية، فهو يقوم على دراسة النفس، بل يعد بعض المؤرخين التصوف علم النفس، أو علم آفات النفس، ولاشك في أن الجانب العملي الأخلاقي الصوفي نجد له أمثلة واضحة، وممتازة في الصدر الإسلامي الأول"[30]، ويمكن القول بأن من العوامل المشتركة بين علم التصوّف (The science of mysticism) وعلم النفس (psychology) ومفهوم الرضا فكرة (The concept of the idea of contentment) المشاعر(Feelings) التي تعمل عليها علوم النفس والتصوف، ويقوم عليها الرضا في جوهره.

ويعرف بعض المتصوفة الرضا بالقول: هو سرور النفس، وانشراح الصدر، وبهجة الروح، ونشوة الجسم، والإحساس بالسعادة من كل جانب، وهذه الأحوال هي حقيقة الرضا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في أحكام الشريعة الإسلامية التي فرضها الله علينا، وبينها سيدنا رسول الله. فالرضا بها يجعل المؤمن أسعد الناس حالاً بالقيام بأدائها، مهما كلفه ذلك من جهاد، ومشقات، بل لا يشعر بمشقة أو عناء؛ لأنها في سبيل رضاء الله

[30] محمّد جلال شرف " دراسات في التصوّف الإسلامي" دار النهضة، بيروت، لبنان، 1984م، ص: 9 .

ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهي لذة ومسرة يشعر بها ويعيش فيها أثناء قيامه بعظائم الأمور وفادح المجاهدات. أما الرضا بقضاء الله وقدره، فهو استقبال القضاء والقدر، ولو كان مُرَّاً ومزعجاً بحالة من الارتياح والاطمئنان والسكون، بحيث يحس العبد أنه يتقلب بين أصابع الرحمن، وأن الله لم يرد به إلا خيراً في عاجله وآجله، وإن كان ظاهرُ الأمر شديداً مؤلماً، ذلك الرضا نتج من شهود العبد حقيقة الأمر: وهو أنّ أحداً غير الله لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً إلا بإذن الله وأمره، وأن كل شيء من الله خلقاً وأمراً، وقضاءً وقدراً، فلا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، "والرضا بهذه المعاني رفيقٌ وصاحبٌ وصديقٌ وأخٌ حميمٌ، لا ينفك عنه، ولا ينفصل منه طول حياته، وقد قال أحد الصالحين:

شَمِيمُ الرِّضَا يَدْعُو إِلَى جَذْبَةِ الْأُنْس وَحُسْنَ اعْتِقَادِي مَاحِقٌ مُقْتَضَى لَبْسِي.

وإنما يكون الرضا من الله سبحانه وتعالى، والرضوان لمن رضى عن الله وعن رسوله، وأهل مقامات الرضا في أنس دائم بربهم سبحانه وتعالى وبحبيبهم، وقد قال بعض الصوفية تعبيراً عن ذلك:

عَلَيَّ الرِّضَا عَنْهُ لِكُلّ مُقَدَّر وَسُخْطِي عَلَى نَفَسِي فَخَلِّ مَلَامي"[31]

[31] محب الشريف، منتدى الطريقة النقشبندية، **"** مقام الرضا**"** الشبكة العنكبوتية، تاريخ النشر السبت 2013/1/5م

وفي إطار ما سبق يعرض السؤال التالي: ما علاقة الرضا بالصبر؟ في نطاق المقارنة بين الرضا والصبر قال (ابن الجوزي 1116 – 1201م)• ليس في التكليف أصعبُ من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضا به. فأما الصبر: فهو فرضٌ. وأما الرضا فهو فضلٌ. وإنما صعب الصبرُ، لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن، بل هو يتنوع؛ حتى يتحير العقل في حكمة جريان القدر، والرضا في الدين الإسلامي كما تشير إلى ذلك السنة المطهرة قائمٌ على جوهر الإيمان، يتضح ذلك من واقع الحال: فإنه صلى الله عليه وسلم كان يتقلب على رمال وحصير تؤثر في جنبه، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: كسرى وقيصر في الحرير والديباج، فقال له صلى الله عليه وسلم: أفي شك أنت يا عمر؟ ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟.

....

الرضا عن الحياة (Satisfaction with life)

الرضا عن الحياة: Lifeهو الطريقة التي يُظهر بها الناس مشاعرهم وأحاسيسهم، وكيف يشعرون بشأن توجهاتهم وخياراتهم للمستقبل، فهو

• ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم ولد وتوفي في بغداد. حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون. يعود نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق.

مقياس للرفاهية يُقيّم من حيث المزاج، والرضا عن العلاقات والأهداف المُحققة، والمفاهيم الذاتية والقدرة الذاتية المدركة للتعامل مع الحياة اليومية، ويتضمن الرضا عن الحياة أسلوبًا مُحبّبًا مواتٍ لحياة الشخص بدلًا من تقييم المشاعر الحالية، يُقاس الرضا عن الحياة تبعًا للمكانة الاقتصادية ودرجة التعليم والخبرات والعديد من المواضيع الأخرى. الرضا عن الحياة هو جزء أساسي من الرفاه الذاتي، ويُعد الرضا عن الحياة محور اهتمام كل البشر، ومن ثم كل الشرائع السماوية، وفي إجابته عن السؤال كيف نقتنى حياة الرضا؟ لقداسة البابا (تواضروس الثاني **1952**م)•• **2** أغسطس **2014** م يقول "الطاعة وقبول مواعيد الله، درب حياتك على الطاعة، قديماً كان يحيا إبراهيم أبو الآباء في أور الكلدانيين في العراق، وجاء إليه النداء الإلهي" وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعِنُك ألعَنُه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط" وأطاع إبراهيم، ونتعلم في النسكيات الديرية "على ابن الطاعة تحل البركة"، والحياة تشهد بذلك أن الإنسان الذي يعيش بالطاعة ينال بركة، في البيت ينال

•• البابا الأنبا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أسمه ومولده: وُلِد باسم وجيه صبحي باقي سليمان بالمنصورة لأسرة مكونة منه كأخ لشقيقتين، ووالده كان يعمل مهندس مساحة، وتنقلت الأسرة في المعيشة ما بين المنصورة و سوهاج و دمنهور

بركة الأسرة، في الدير بركة الرهبنة، في الخدمة ينال بركة الكنيسة، في المجتمع ينال بركة، المجتمع الذي يحيا فيه، وأقصد في كلامي الطاعة الحكيمة المتعقلة، الإنسان لا يشعر بالرضا إلا من خلال حياة الطاعة، والتسليم ومن أبسط صور التسليم الطفل الصغير الممسك بيد أبيه في شارع زحمة، فيشعر بالأمان بالرغم من كل الظروف.

في سير القديسين عندما يتعرض الأخ المبتدئ إلى حروب، كان يصلي قائلاً "ببركة أبي يارب ارفع عن هذه الحرب" ففكر الإنسان المستمر واختراعاته جعلته لا يحيا حياة التسليم، فيفكر بطريقة سلبية، أما التسليم فهو التفكير الهادئ "أما طيبُ القلب فهو وليمةٌ دائمة"، فالتسليم يشعر الإنسان دائما بالراحة النفسية الداخلية، مع تطور الحياة صار عقل الإنسان هو إلهه، فحياة التسليم هي ضمان الصحة النفسية للإنسان. التسليم أداة أمانٍ ومن أقرب الأمثلة هي (راعوث)• الإنسانة التي عاشت حياة التسليم إلى آخر يوم في حياتها بالرغم من كل الظروف، الثقة والإيمان في شخص المسيح

• سفر راعوث (بالعبرية: מגילת רות) هو ثامن أسفار التناخ في الديانة اليهودية والعهد القديم في المسيحية؛ ويرفض الصدوقيون والسامريون الاعتراف بقدسية السفر، وسوى ذلك لا خلاف بين مختلف طوائف الديانة اليهودية والمسيحية حول قدسيته؛ وهو السفر الوحيد المسمى باسم امرأة، وتذكر لاحقًا في إنجيل متى كأحد أسلاف يسوع الذي يعتقد المسيحيون. لا يوجد أسم "راعوث " في العهد القديم إلا في السفر المسمى باسمها، ولعل اسمها يعنى "صديقة" أو "صاحبه" [(خر 11: 2) - "وكل امرأة من صاحبتها"] وجاءت الكلمة في "قاموس اكسفورد العبرى بأنها تعنى "صداقة" .

الذي يدبر هذه الحياة، "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" ثقتي أن يد الله قوية ومازالت تعمل، وهو يدبر كل شيء، وتدبيرات الله كلها حكيمة.

....

بعض العوامل المؤثرة في الرضا عن الحياة:

(Some factors affecting life satisfaction)

تُعدّ الشخصية **Personal** واحدةً من المفاهيم الأساسية في مسألة الرضا، وللشخصية هناك نموذج هو نموذجٌ، العوامل الخمسة الكبرى للشخصية (**The Big Five Factors Personality Model**) يوضّح هذا النموذج ما يعتقد به بعض الباحثين بأنه سيكون حجر الأساس لشخصية كل فرد، يأخذ هذا النموذج في الحسبان أبعاد الانفتاح على التجربة، والضمير، والانبساط، والطيبة، والعصابية. وفي دراسة أُجريت عام: **1998**م، حُللت عديد من الدراسات مع بعض الاستبانات الشخصية التي تربط تدابير الرفاهية والمقاييس الشخصية وُجد أن العصابية كانت أقوى مؤشر على الرضا عن الحياة، وترتبط العصابية أيضًا بالأشخاص الذين يواجهون صعوبة في التفكير، وهي شائعة بين الأشخاص الذين يعانون من مرض عقلي، ويرتبط عامل الشخصية "الانفتاح على التجربة" ارتباطاً إيجابياً

بالرضا عن الحياة، وبغض النظر عن أبعاد الشخصية التي دُرست في العوامل الخمسة الكبرى، فإن نمط الأشخاص المهتمين بالوقت يرتبط بالرضا عن الحياة بما يعني أن الناس المنحازين للمرحة الصباحية أظهروا تقبلًا لحياتهم أكثر من أولئك المنحازين للمرحة الليلية، ويمكن لمزيد من التنشئة الاجتماعية المتواصلة أن تسهم في الرفاه العام أيضاً، وقد تبيّن أن الدعم الاجتماعي عن طريق الآخرين يؤثر في رفاهية البالغين والصحة العامة لهؤلاء الأفراد، لذلك، فإن الأشخاص الذين يميلون إلى التواصل، والذين يُعدون أكثر انفتاحاً على الآخرين سيكون لديهم مستوى أعلى من الرضا عن الحياة، وقد ثُبت أن التوريث (**Heritability**) له تأثير في كيفية تصنيف المرء من حيث الرضا عن حياته.

وكما هو معلوم في علم الوراثة فإن الإنسان يرث مكونات من أمه فقط، ويرث مكوناتٍ من أبيه، وتقول التجارب على التوائم المتطابقة بأن التوريث يلعب دورًا في كل من التجارب الشخصية والفردية، وتُشير الأبحاث إلى إمكانية تأثير التوريث في تقبّل الحياة إلى حدٍ ما. إضافة إلى العوامل البيئية والوسط الاجتماعي، فكلها عوامل لها تأثير في الفرد ووَجدَتْ هذه الدراسة أنه لا توجد فروق فردية بين الذكور والإناث، من حيث توريث الرضا عن الحياة، ولكن عناصر الشخصية التي تأثرت بالتوريث يبدو أنها تؤثر في إشباع حياتهم بشكل عام، وقد اقتُرح كذلك أن القدرة على التعامل بشكلٍ

مستقل مع المشاعر السلبية يمكن أن يؤثر في مدى الرضا الطويل الأمد للشخص على حياته.

إن البناء والامتلاك لشخصية قادرة على التعامل بشكلٍ مناسبٍ مع العواطف مثل الغضب أو القلق أو الكراهية يمكن أن يكون مفيدًا عند التعامل مع الأشياء المشابهة في وقت لاحق من الحياة، والناس الذين هم أكثر بساطة (**simplicity**) وإن هذا المفهوم في ذاته ليس بسيطاً، يميلون إلى التعامل مع مشاعرهم السلبية بشكلٍ مختلف عن الناس المتشددين. هذه الفروق الفردية يمكن أن تؤثر في الطريقة التي يتعامل بها الناس مع المشاكل في الوقت الحاضر، وكيف سيتعاملون مع مواقف مماثلة في المستقبل، وعند هذه المرحلة من التحليل نصل إلى مسألة تقدير الذات، وهو مقياس الرضا عن الحياة هو مقياس مفرد يُستخدم من قبل اليونسكو و(وكالة **CIA** الأمريكية (**Central Intelligence Agency**) وكالة المخابرات الأمريكية) ومؤسسة الاقتصاد الجديد، ومنظمة الصحة العالمية، وقاعدة بيانات (فينهوفن **Ruut Veenhoven 1942**م -)• لقياس كيفية رؤية الشخص لنفسه وكمية تقديره لذاته والرفاه والسعادة الشاملة في حياته. وقد أظهرت النمذجة السابقة أن وجهات النظر الإيجابية

• روت فينهوفن هو عالم اجتماع هولندي ورائد وسلطة عالمية في مجال الدراسة العلمية للسعادة ، بمعنى التمتع الشخصي بالحياة. أسهم عمله في الظروف الاجتماعية للسعادة الإنسانية في جامعة إراسموس روتردام بهولندا في تجديد الاهتمام بالسعادة كهدف للسياسة العامة.

والرضا عن الحياة تُوسِطت بالكامل بمفهوم تقدير الذات"[32] الذات (Self-esteem) تستخدم عادة بمعنى الشخصيَّة أو الأنا، حيث يجري عدها بمثابة عامل (Agent) يعي هويّته المستمرِّة، وتستعمل أحياناً بمدلولها الواسع، فتطلق على حيوان أو حتى شيء مادّي، يُعدُّ كعامل من العوامل"، بالإضافة إلى الطرق المختلفة التي ينظر بها الأفراد للأفكار والأحداث، وقد وَجَدت عديد من الدراسات أن تقدير الذات يلعب دوراً محدداً في التأثير في تقبّل الحياة.

عندما يعرف الشخص نفسه وقيمته، فهو مدفوع للتفكير بطريقة إيجابية، وهناك أيضًا نموذج توازن داخلي يدعم هذه النتائج، وفي مسألة النظرة على الحياة يمكن لمزاج الشخص وتوقعاته من الحياة أن تؤثر أيضًا في إدراكه للرضا عن حياته وفكرة المزاج Temperament التي تعرف في علم النفس بالقول إنه" الطبع العام لدى الفرد، ولا سيما من الناحية العاطفيّة والشهويّة والرغبيّة. فالمزاج يثير على وجه الخصوص طباع المرء وخصاله النفسيّة. وقد ميّز العالم القديم بين أربعة أنواع من الأمزجة: ناسباً كل مزاج منها إلى واحد من الأخلاط أو إلى رطوبة معيّنة تخالط البدن: الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء"[33]، وفكرة المزاج في ذاتها تحتاج إلى دراسات

[32] أسعد رزق" موسوعة علم النفس" ص: 125.
[33] أسعد رزق " موسوعة علم النفس" ص: 240 .

معمقة، وهي كما أشار التعريف السابق لها تُعد من الأفكار الأصيلة في البحث العلمي والفلسفي.

وهناك نوعان من المشاعر **Feelings** التي قد تؤثر في كيفية إدراك الناس لحياتهم. يُعد الأمل(**Hope** والتفاؤل **Optimism**) هو موقف من جانب الفرد تجاه الحياة أو حيال أحداث معيّنة، يميل أحياناً إلى حدّ مفرط نحو التركيز على الناحية المشرقة منها، أو الجانب المفعم بالأمل والخير، والتفاؤل فلسفة للحياة والكون يتّسم بنظرة مؤدّاها أن هذا العالم هو الأفضل بين العوالم الممكنة الوجود"[34]، كلاهما (الأمل والتفاؤل) من العمليات المعرفية التي عادة ما تكون موجهة نحو الوصول إلى الأهداف وإدراك تلك الأهداف، بالإضافة إلى ذلك، يرتبط التفاؤل بارتفاع مستوى الرضا عن الحياة، في حين يرتبط التشاؤم بأعراض الاكتئاب، وبالمشاعر السلبيّة **(Passivity Feelings)** (الخضوع السلبي) التي تعرف في علم النفس بالقول" هي المشاعر الهذائيّة التوهميّة التي تخيّل للمرء أنه عرضة لتأثير ومفعول مختلف القوى والتأثيرات الكهربيّة والتنويميّة وغير ذلك، وهي من المشاعر المميّزة بنوع خاص لحالات الفصام وازدواج الشخصيّة"[35]، ووفقًا لبعض البحاث فإن الأشخاص الأكثر سعادة هم أقل تركيزًا على الجوانب السلبية في حياتهم، كما أن لدى الأشخاص السعداء ميلاً أكبر للإعجاب

[34] موسوعة علم النفس ص: 77.
[35] موسوعة علم النفس ص: 251 .

بالناس الآخرين وهو ما يعزز بيئةً أكثر سَعادة، ويرتبط هذا بمستوى أعلى من رضا الشخص عن حياته بسبب فكرة أن بناء العلاقات مع الآخرين يمكن أن يؤثر إيجابًا في رضائك عن حياتك، ويُعد الذكاء **Intelligence** عاملاً مهماً، لأن الرضا عن الحياة ينمو مع تقدم الإنسان في السن. فعندما يكبرون، يصبحون أكثر حكمة ومعرفة، لذا يبدؤون في رؤية أن الحياة ستكون أفضل، وأنهم يفهمون الأشياء المهمة في الحياة أكثر، وقد سُجّل في عدة أبحاث علمية أن الأشخاص في سن المراهقة يَبْدوُن على مستوى أدنى من الرضا عن الحياة مقارنةً بنظرائهم الأكبر سنًا. وقد يكون هذا بسبب أن عديد من القرارات باتت وشيكة، وقد يواجهها المراهق لأول مرةٍ في حياته، مع أن عديد من المراهقين يعانون من انعدام الأمن في كثير من جوانب حياتهم، إلا أنّ الرضا مع الأصدقاء يمكن القول عنه ظلّ على مستوى ثابت، ويُفترض أن ذلك يعود إلى مقدار رضا المراهق على حياته مع مجموعته العمرية بالاختلاف عن المجموعات العمرية الأخرى، ومن العوامل المهمة لمسألة وجود الرضا وتحققه أحداث الحياة وتجاربُها، اقتُرح أن هناك عديد من العوامل التي تسهم في مستوى رضانا عن الحياة، التجارب في حال كانت حادة مثل وفاة أحد أفراد العائلة، والتجارب اليومية المزمنة مثل الخلافات العائلية المستمرة تؤثر في التقارير الذاتية لرضانا عن الحياة، وتعد العائلة من أهم المؤثرات في شعور الرضا ويمكن الحديث عنها تحت عنوان:

(العائلة ودورها في الرضا) The family and its role in contentment

إن الرضا عن الحياة الأسرية موضوع مؤثر، حيث تؤثر عائلة كل فرد بطريقة ما، ويسعى معظمهم للحصول على مستويات عالية من الرضا في الحياة، وكذلك داخل أسرهم. وقد ناقش (غاري إل. بووين) في مقاله بعنوان: "إرضاء الحياة الأسرية: نهجٌ قائمٌ على القيمة" كيفية تعزيز رضا الأسرة من خلال قدرة أفراد العائلة على تحقيق قيمهم العائلية في السلوك. ومن المهم تحديد مدى الرضا عن الحياة الأسرية من جميع أفراد الأسرة من منظور "المتصور" ومنظور "المثالية"، زيادة الرضا عن الحياة داخل الأسرة يزيد من خلال التواصل وفهم مواقف كل عضو وتصوراته، يمكن للعائلة أن تحدث فرقاً كبيراً لرضا شخصٍ ما عن الحياة.

تقول (كارولين هنري) "إن رضا المراهقين عن حياتهم له أسس مختلفة كثيرًا عن رضا البالغين الكبار، يتأثر الرضا عن الحياة عند المراهق بشدة بالديناميكية وخصائص عائلته. الترابط الأسري والمرونة الأسرية والدعم الأبوي، كلها عوامل ضخمة في الرضا عن حياة المراهق، فكلما زاد الترابط والمرونة والدعم داخل الأسرة ارتفع مستوى الرضا عن حياة المراهق، وقد كشفت نتائج هذه الدراسة أيضاً أن المراهقين الذين يعيشون في منزل أسرة وحيدة الأب أو الأم لديهم رضا أقل بكثير من حياة المراهقين الذين

يعيشون في منزل ثنائي الوالدين"[36] ترتبط العائلة أيضًا بالرضا عن الحياة بطريقة مختلفة تمامًا مثل قرار المرأة بإنجاب الأطفال أو عدمه، تكشف (كارول هولاهان) في مقالٍ لها بعنوان "العلاقة بين البحث عن المعلومات في قرار الإنجاب ورضا الحياة للآباء والأمهات وغير المتزوجين": أن النساء اللواتي ليس لديهن أطفال لديهن رضا أكبر بكثير من النساء اللواتي لديهن أطفال، ويمكن القول بأن للمهنة دوراً لا يمكن تجاهله، إن اقتناعك بعملك هو عنصر مهم من عناصر الرضا عن الحياة، إن القيام بشيء ذي مغزى وبقدرة إنتاجية يُسْاهِم في شعور المرء بالرضا عن الحياة، يرتبط مفهوم الإنجاز هذا بمحرّك الشخص. الحاجة إلى الإنجاز هي جزء أساسي من أن تصبح شخصًا وظيفيًا بالكامل، وإذا شعر أحدهم بحقيقة إنجازه فسيكون أكثر قدرة على رؤية الجوانب المشرقة في حياته ومن ثم تحسين رضاه عن حياته، وعلى الصعيد الدولي، وكذلك اليوم على الصعيد المحلي، فإن الراتب يُعد أمْرًا مهمًا، حيث تُظهر مستويات الدخل ارتباطاً معتدلًا بالتقييمات الفردية للرضا عن الحياة، ومع ذلك في الدول المتقدمة، يكون التواصل ضعيفًا، ويختفي في الغالب عندما يحصل الأفراد على ما يكفي من المال لتلبية الاحتياجات الأساسية"[37]

---

[36] كارولين هنري، الرضا عن الحياة " مقالتها خصائص نظام العائلة، سلوكيات الوالدين ورضا حياة المراهقين"، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

[37] كارول هولاهان "العلاقة بين البحث عن المعلومات في قرار الإنجاب ورضا الحياة للآباء والأمهات وغير المتزوجين"، الرضا عن الحياة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

(الرضا وفق القانون) Satisfaction according to law :

يُعدّ مفهوم الرضا جزءاً جوهرياً في الجانب القانوني، ويعرف بالقول:" الرضا هو اتجاه الإرادة نحو أمر قانوني معين، لذلك يقال إن البائع أو المشتري قد رضي بالبيع أو الشراء"[38] وخصوصاً في بناء العقد الذي هو"ارتباط إيجاب بقبول على وجه مشروع يثبت أثرهُ في محله، أو هو توافق إرادتين على إنشاء التزام أو نقله. يتبين من ذلك أن العقد لا ينعقد إلا إذا توافرت أركانُه وهي: الرضا وما يتبعه من أهلية المتعاقدين، والمحل، والسبب، ولا تُعدُّ هذه الأركان محل اتفاق بين الفقهاء. إذ إنهم اختلفوا أشد الاختلاف في هذه الأركان، ولكن لم يكن لهذا الاختلاف سوى قيمة نظرية بحتة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن القانون المدني السوري قد بحث تحت عنوان (أركان العقد في الرضا وما يتبعه من أهلية المتعاقدين) (المواد من (**92** إلى **131**)، وفي المحل (المواد من **132** إلى **136**)، والسبب (المادتان: **137** و**138**). أما التقنين المدني الفرنسي فينص صراحة في المادة: (**1108**) منه على ضرورة توافر أربعة شروط من أجل صحة أي اتفاق، وهي: الرضا، والأهلية، والمحل، والسبب، زد على ذلك أن الشكل في العقود الشكلية تعد ركناً إضافياً، ومن ثم لا تنعقد هذه العقود حتى لو توافرت فيها الأركان السابقة، وإنما لا بد إضافةً إلى ذلك أن تتوافر فيها الشكلية التي تَطلَّبَها القانون من أجل

[38] محمّد عبدالله الدليمي" النظرية العامة للالتزام " الجامعة المفتوحة، القسم الأول، 1998م، ص: 50 .

انعقادها، والرضا كما هو في القانون السوري. يميز الفقه في هذا المجال بين وجود الرضا **Presence of contentment** وسلامة الرضا **Safety of satisfaction** ، ويتطلب وجود الرضا وجود الإرادة، في حين أن سلامة الرضا تفترض وجود الإرادة، ومن ثم تستلزم صحة هذه الإرادة، والرضا بوصفه ركناً من أركان العقد يستلزم وجود إرادتين، ويترتب على ذلك أن الرضا لا يكون سليماً إلا إذا كانت الإرادتان صحيحتين، والرضا هو توافق الإرادتين، وتطابقهما في العقد"[39]، وهذا ما ينص عليه القانون الليبي بفكرة التراضي **Consent** يقول: "يوجد التراضي بوجود، إرادتين متوافقتين، ويقصد بالتراضي أن يتبادل البائع والمشتري التعبير عن إرادتين متطابقتين، على أن يلتزم الأول بأن ينقل إلى الثاني ملكية شيء أو حقاً مالياً آخر مقابل ثمن نقدي. نصت المادة (89) من القانون المدني الليبي، على أنه يتم العقد بمجرد أن يتبادل طرفان التعبير عن إرادتين متطابقتين، مع مراعاة ما يقرره القانون فوق ذلك من أوضاع معينة، لأنعقاد العقد"[40]،" ويعرف بأنه تَحَّركُ الإرادة إلى شيء ما وتعلقها به.

ويترتب على ذلك أن وجود الرضا يستلزم وجود الإرادة. ومن هنا فالرضا معدوم عند عديم التمييز وفاقد الوعي، نتيجة مسكر أو مخدر أو تنويم

[39] موقع الموسوعة العربية القانونية، الشبكة العنكبوتية.
[40] محمّد المبروك اللافي" العقود المسماة أحكام البيع والتامين والوكالة في التشريع الليبي" منشورات جامعة ناصر، طرابلس، ليبيا، 1992م، ص: 32.

مغنطيسي، وذلك نتيجة انعدام الإرادة عندهم، ويقصد بوجود الإرادة صدورها عن صاحبها بقصد إحداث أثر قانوني، وهو هنا إنشاء الالتزام، بحسبان العقد المصدر الإرادي الأول للالتزام. أما إذا لم تتجه الإرادة إلى إحداث مثل هذا الأثر، فلا يقوم الرضا بوصفه ركناً من أركان العقد، م من ثم لا يترتب على مثل هذه الإرادة انعقاد العقد. وفي حال وقوع خلاف حول ما إذا كانت الإرادة قد اتجهت إلى إحداث أثر قانوني أو لا؛ فالمحكمة المختصة هي التي تفصل في مثل هذا الخلاف. والإرادة هي أمر باطني، فلا بد إذاً من التعبير عنها صراحة أو ضمناً "[41]، وقد قدم القانون الليبي الصور العملية لأوصاف الرضا في البيع قائلاً: "إن من أهم الصور العملية لأوصاف الرضا في عقد البيع، الوعد بالبيع وبالشراء، ولمعرفة الأحكام الخاصة بالوعد بالبيع يجب الرجوع إلى ما بينته القواعد العامة في الوعد بالتعاقد، حيث إن المشرع الليبي قد اكتفى بتنظيم أحكام الوعد بالتعاقد بشكل عام في النظرية العامة للعقد"[42]

....

[41] الموسوعة العربية القانونية،الشبكة العنكبوتية.

[42] محمّد المبروك اللافي" العقود المسماة أحكام البيع والتامين والوكالة في التشريع الليبي" ص: 34.

(أنواع الرضا) Kinds of contentment

يتضمن مفهوم الرضا في ذاته عدة أنواع تُعد جوهر بنيته، منها على سبيل المثال:

1-الرضا الضمني **Tacit consent** هو شكل من أشكال الموافقة (الرضا) التي لا تُمنح بشكل صريح من قبل شخص، بل يتم الاستدلال عليها من أفعال الشخص ووقائع وظروف موقف معين، (أو في بعض الحالات، عن طريق صمت الشخص، أو عدم تصرفه)، تشمل بعض الأمثلة الموافقة الضمنية على اتباع القواعد أو اللوائح في مؤسسة تعليمية والموافقة الضمنية على الاتصال الجسدي من قبل المشاركين في لعبة الهوكي.

2-الرضا الصريح: **Plain consent** :يتم التعبير عنه بشكل واضح وليس بشكل ضمني، يمكن تقديمه كتابةً، بالكلام (شفهيًا)، أو دون التلفظ به، على سبيل المثال، من خلال لفتة واضحة، مثل: إيماءة، وقد يتم الطعن في الموافقة الصريحة غير المكتوبة التي لا يُستدل عليها بالشهود أو تسجيل الصوت أو الفيديو؛ إذا نفى طرف أنه قد منحها.

3-الرضا المستنير: **Enlightened contentment** :في مجال الطب، هي: موافقة (رضا) التي يمنحها شخص لديه تقدير وفهم واضح للحقائق والآثار والعواقب المستقبلية للعمل، يُستخدم المصطلح أيضًا في سياقات

أخرى، مثل: البحث العلمي الاجتماعي، عندما يُطلب من المشاركين التأكيد على أنهم يفهمون إجراء البحث، ويوافقون عليه.

4-الرضا بالإجماع : **Unanimous satisfaction** :أو الرضا العام: هي موافقة (رضا) جميع الأطراف.

5-الرضا البديل: **Alternate satisfaction** أو مبدأ الحكم المستبدل: تُسمح لصانع القرار بمحاولة تحديد القرار الذي كان يمكن لشخص غير كفَء القيام به، إذا كان هو أو هي مختصة.

6-الرضا الحماسي (الموافقة) **Enthusiastic satisfaction** هو الإذن المتحمس والصادق أو هو الاتفاق من الأفراد المشاركين والمطلعين بالكامل.

من أسباب عدم الرضا:**One of the reasons for dissatisfaction**

تتباين الأسباب التي تدفع شخصاً يشعر بالرضا عن نفسه، وآخر بعدم الرضا، يتساوى الغني، والفقير، والرجل والمرأة، والطفل، والناضج المريض والسليم والجاهل والمتعلم، وهناك فقراء لديهم حالة من الرضا، وأغنياء يملكون الكثير، لكنهم لا يتمتعون بهذا الشعور، وهناك من يشعر بالرضا عن نفسه على المستوى الشخصي، لكنه لا يملك الشعور على المستوى العام، ولا يفصل بينهما، فتسبب له حالة من عدم الرضا، ما تم ذكره من أسباب عدم الرضا عن النفس يستدعي تقديم السؤال المنطقي القائل: كيف

نتغلب على تلك الأسباب ونعمل على استبعادها؟" افترض عالم النفس (الأمريكي وليم جيمس **William James 1842 - 1910م**): أن قدرة المرء على الشعور بالرضا عن نفسه لا تتعلق بتحقيقه النجاح في كل مسعى من مساعي الحياة، حيث لا يستطيع المرء تقدير ما بين يديه لقيمته الخاصة، أو حتى بالمقارنة بما كان هو عليه سابقاً من ضيقٍ أو فقرٍ، بل يقارنه مع أقرانه فلا يرضى عن مكانته إلا حين يملك مثلما يملكون أو أكثر مهما كان الذي يملكه؛ لأننا نصنع تلك المعايير عن طريق مقارنة حالنا بحال مجموعة مرجعية لجماعة الناس الذين نعتقد أنهم يشبهوننا مثل الأقران والنظراء، لا سيما المترفين منهم، وهذا ما يفسر بعض الظواهر الاجتماعية التي نراها في مجتمعاتنا للأسف"[43]، وهناك جواب آخر يقول: كي نصل للشعور بالرضا عن النفس علينا أن نحاسب أنفسنا بشكل دائم، وهنا تَصّدُق عبارة الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر **Jean-Paul Sartre 1905 - 1980م**) عن الحرية القائلة: في كل لحظة لا أختار، نراجع القرارات التي اتخذناها، المواقف التي مرت بنا، نملك الشجاعة، لنعيد تقييم الموقف واتخاذ قرارات تصحح أي مسار خاطئ، ولا نستمر فيه لمجرد العند أو التشبث بالرأي أو إثبات أننا على حق، ألا نتوقف عن المحاولة، لا نستسلم للصعوبات التي تواجهنا، بل نحاول أن نتخطاها، ونسلك طرقاً أخرى، كلما تعودنا على النفس الطويل شعرنا بالرضا عن أنفسنا.

[43] مياسة السويدي" عن الرضا أو المهانة "، كاتبة بحرينية عن الشبكة العنكبوتية

الرضا في الفن: Contentment in art :

تقول المراجع الفلسفية إن"الأصل الاشتقاقي لكلمة الفن (Techne) باليونانية و (Ars) باللاتينية لم تكن تعني سوى النشاط الصناعي النافع بصفة عامة"[44]، وكانت هذه الكلمة في اليونان زمن أرسطو تتضمن الشعر والموسيقى وكذلك النجارة». والفن عند (ليو تولستوي Leo Tolstoy 1828-1910م) " اشتراك في الانفعال، فإذا روى رجل قصة أو أنشأ أغنية أو رسم صورة وهو يقصد إلى إشراك غيره في عواطفه فقد أحس نفسه وظهر بهذا فنه، فإذا كانت العاطفة حية وصدرت عن اتجاه في الحياة غصن نضر تجلى فن عظيم"[45] والرضا في الفن يعني الكثير، لأنه يرتبط بعمل يقوم به الفنان، الذي ينتج بنشاط روحه، ويخاطب أرواح الآخرين، وذلك يقوم أو يعتمد على مخيلة الفنان، يقول هيجل :" العمل الفني يتطلب، من حيث هو نتاج للروح، ونشاطية ذاتية خلاقة تجعل منه، حينما تصوغه وتشكله، موضوعاً لحدس الآخرين، وتخاطب حساسيتهم، ومخيلة الفنان هي التي تمثل هذه النشاطية الذاتية الخلاقة"[46]، والفنان هو الذي يحاول اكتشاف ذاته وحضورها الزماني والمكاني، يتطلع الفنان إلى عالم بعيد عن الواقع،

---

[44] حسين على " فلسفة الفن رؤية جديدة" الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005م، ص: 23 .

[45] محمّد جلال شرف" الفلسفة ومشكلاتها_ الحرية-الحقيقة-الجمال-الخير. بين الفكر اليوناني والإسلامي والأوربي" مطابع النجاح، 1974م،ص:142.

[46] هيجل" فكرة الجمال" ترجمة، جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص: 291.

يسافر داخل مساحات اللون، مصوباً نظره إلى ذلك القمر المشع في ظلمة الليل. وفي خضم هذه الحوارية بين الآراء حول الفن والجمال يُقدم السؤال التالي: ما الذي يتطلبه الإنسان من الفن؟ قدم أستاذ الجمالية عبر العصور الإجابة التالية" ما يتطلبَّه من الفن إنسان مما قبل التاريخ، أو ما كان يتطلبه فرعون، ومواطن فقير من آتينا، ورومانيّ مثقف، وسيِّد اقطاعي من القرون الوسيطة، وسيدة فلورنسية من عصر النهضة، وهلمَّ جراّ حتى عصرنا الراهن، كان شيئاً شديد الاختلاف، من غير أن يؤدي بنا ذلك إلى افتراض يقول بتحويُّل جذري عميق في حقيقة الإحساس الجمالي"[47] ويتلمس الفنان لغة تعبيرية بين الأحجار والأخشاب وبقايا المخلفات من قطع بلاستيكية، وخيوط حديدية تضعف أمام نظرة الفنان وفلسفته، فتصبح لوحة تجسد الخيال والهموم، وتثير التساؤلات التي من أهمها: السؤال القائل: ما الفن؟ وفي البحث عن إجابة منطقية ومقنعة لهذا السؤال يقول بعض البحاث: "قد يقف حَيارَى -يقصد الدارسين، في علم الجمال والدراسات الأدبية والنقدية -عاجزين عن الوصول إلى تعريف جامع مانع يصلح لجميع الفنون في كل عصر وكل زمان. وقد يصلون إلى بعض المقولات العامة التي تنبع عن لحظة وجد، أو حماسة قلب، أو توقد الروح، ثم لا يلبثون أن ينصرفوا عنها إلى غيرها، وهكذا يقفون على غير ثبات عند كل

[47] إتيان سُوريُو" الجمالية عبر العصور" ترجمة، ميشال عاصي، الطبعة الثانية،منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1982م،ص:10.

مقولة من هذه المقولات، تجذبهم حيناً ثم لا ترضيهم حيناً آخر"[48]، لتدفع المشاهد إلى التحول والتغيير والتجديد.

وفي نطاق الرضا عن الفن نشير إلى تصورين مختلفين في الفلسفة القديمة بين أفلاطون وأرسطو من خلال النص التالي: " إذا كان أفلاطون في مجال القيمة الفنية عمل على إدانة نظرية المحاكاة، ومحاصرة المقلدين، لما تفضي إليه من تشويه للطبيعة، وابتعاد عن الحقيقة وانتبه إلى أن المحاكاة تشتغل على المظاهر، وتهمل الوقائع الحقيقية، فإن أرسطو في كتابه فن الشعر أمسك عن نعت الشعراء بالكذب وبرر المحاكاة من خلال تأكيده على أهمية التمثيل في الاقتراب من الظواهر الواقعية ومعرفتها، والتحكم فيها وإعادة تشكيلها وإعادة إنتاجها. لقد برهن على أطروحته من خلال نموذج التراجيديا في المسرح، التي تتماشى مع القدرة على التقليد بوصفها موهبة طبيعية تجعل جميع الناس يميلون إلى المحاكاة بحكم الغريزة، مثل بقية الكائنات الحية، ويستخدمون آلية التمثيل من أجل التحكم في الانفعالات وتسكين الأهواء والتطهير من مشاعر الخوف والكراهية والحزن، وتقوية

[48] محمّد زكي العشماوي" فلسفة الجمال في الفكر المعاصر" دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص: 7 .

مشاعر المحبة والشفقة والفرح، وتغليب الرغبة في الحياة على نازع الفناء"[49].

ويعرف: " أفلوطين Plotinus 205-270م الفن بأنه: التعبير عن مشاعر الفنان الذي يدرك مظاهر المبدأ الإلهي في شيء مادي موجود في الزمان والمكان، وهو إدراك يتوافر للفنان بفضل مشاركته بدوره في هذا المبدأ الإلهي. وفي رأي أفلوطين أن الفن إنما يعود إلى قدرة الإنسان على محاكاة المثل الأعلى "[50]. وهنا نجد للمذهب الطبيعي رأي في مسألة الرضا الجمالي" من الضلال في عرف هذا المذهب أن يفرض الفنان على الطبيعة أحكاماً تقويمية اعتقاداً منه بأن الطبيعة ناقصة يعوزها جهد الفنان ليزيل عنها النقص ويردها إلى الكمال"[51]. هذا التصور يوحي بأن المذهب يعبر عن الرضا الفني من خلال التناسق الطبيعي كما هو دون إضافة من الفنان. وفي عام 1712م " قال أديسون إني لا أستطيع أن أكفّ عن تصور حديقة مزدهرة تقدم لنا منظراً يفوق في جماله كل الأشجار المشذّبة•، ثم طالب الرسامون الإنجليز، متأثرين في ذلك بالمدرسة الهولندية، أن يهدف الفن إلى

[49] د زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

[50] حسين على "فلسفة الفن رؤية جديدة" الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005م، ص: 141 .

[51] محمّد جلال شرف" الفلسفة ومشكلاتها_ الحرية-الحقيقة-الجمال-الخير. بين الفكر اليوناني والإسلامي والأوربي" مطابع النجاح، 1974م،ص: 153.

• يقصد بالحديقة المشذبة الحديقة الفرنسية التي ترسمها وتشكلها يد الإنسان في أشكال هندسية.

رسم الطبيعة كما هي. فاكتشف الرسامون الريف الحقيقي وما فيه من حقول القمح والمراعي المزدهرة والدروب المتعرجة "[52] لكن في القرن التاسع عشر ظهرت تصورات تطالب بالبعد عن الطبيعة" تجاهل (بودلير Charles Baudelaire 1821-1867م) الطبيعة الحية، وأقام من خياله طبيعته لا الخاصة فيما قاله من شعر، وحدّد حديقته، بأنها تلك التي نبنيها من نزواتنا وأحلامنا، وأعلن (لوكنت دوليل 1820م -) زعيم المدرسة البرناسية• أن على الفن والعلم أن يتعاونا إلى أن يندمج كل منهما في الآخر. وكانت هذه الدعوة بعداً عن الطبيعة وميلاً إلى موضوعية التفكير في الإنتاج الفني"[53] كل هذه المواقف التي يتخذها المشاهد هي ومضات تعبيرية عن فكرة عدم الرضا عن الأعمال المنتجة، وهنا يقع السؤال: أيكون الرضا مِن الذي أنتج العمل الفني أم من المشاهد له أو القارئ له؟ طبيعة الإجابة توحي بوجود مرحلتين من الرضا هما: رضا الفنان عن العمل، وهذا جزء من وجود العمل، وعدم رضا المشاهد أو القارئ لهذا العمل، ويتمثل في الدعوة إلى التغيير أو التجديد، الأمر الذي يجر الحديث لسؤال آخر وهو: هل الفن نسبي؟ ويبقى هذا السؤال هكذا، نشير هنا إلى

[52] جبران خليل جبران" حديقة النبي" نقله إلى العربية وقدم له ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، لبنان، 1972م، ص:33.

•• شعراء البارناس هم هؤلاء الذين نادوا بدقة التعبير،وقاوموا الخيال في جميع صوره وأشكاله.

[53] جبران خليل جبران" حديقة النبي" نقله إلى العربية وقدم له ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، لبنان، 1972م، ص:37.

نوع معين للفن، وهو فن التصوير، قال الناقد الفني لويس فوكسيل **L.Vauxcelles** سنة: **1906**م حين رأى لوحات الفنانين في الصالة تحيط بتمثال لطفل من البرونز للنحات ألبير مارك، أطلق مقولته المشهورة هذا دوناتلّو في قفص الوحوش (وهي مشتقة من الكلمة الفرنسيّة التي تعني الوحش المفترس) بالفرنسية: **(les Fauves)**، ومنذ تلك اللحظة عرفت هذه المدرسة بالمدرسة الوحشية، والمدرسة الوحشية **fauvism** الفنية مدرسة في فن التصوير ظهرت في أوائل القرن العشرين في مدينة باريس، وهي حركة تميزت باستخدام ألوان غريبة صارخة، وتحريف الأشكال بتغيير حجومها ونسبها وألوانها التقليدية. وقد أطلق الناقد لويس فوكسيل هذا الاسم على أصحاب، هذه الحركة، للإشارة إلى التناقض بين ضراوة ألوانهم والأساليب الشائعة، وتمثل المرحلة الفرنسية للمدرسة التعبيرية **Expressionnisme** التي ظهرت نتيجة الثورات الفنية المتلاحقة التي بشر بها منذ مُده سابقة كل من الفنانين (جويا **Goya 1746- 1828**م)• و(دولاكروا **Delacroix 1798- 1863**م)•• و(تورنر **Turner 1775-**

• فرانثيسكو دي غويا إي لوثيينتيس رسام ونقاش إسباني. عكس فنه الاضطرابات السياسية والاجتماعية في أوقاته. تتضمن أعماله صور لطبقة النبلاء الإسبانية وأحداث تاريخية " الشبكة العنكبوتية"

•• فرديناند فيكتور أوجين ديلاكروا، رسام فرنسي من رواد المدرسة الرومانسية الفرنسية. له عديد من اللوحات الفنية المحفوظة في متحف اللوفر وغيره. بدأ الرسم في العشرين من عمره. المصدر الشبكة العنكبوتية.

1851م)[•••] وتفجرت رسمياً في المدرسة الانطباعية Impressionnisme بريادة الفنان (مونيه Monet 1840 1926م)[••••] ورفاقه، ووصلت قمتها بأعمال الفنانين الكبار الثلاثة: (فان غوغ van Gogh 1853- 1890م)[•] و(جوجان Gauguin 1848- 1903م)[••] ، و(سيزان Cézanne 1839- 1906م)[•••] ، وقد توازت هذه التطورات مع الثورة الفكرية ضد البرجوازية، وانتشار المبادئ الاشتراكية والتحررية، وكانت المدرسة الوحشية قمة هذه التطورات، (ففي هذه النقلة الفنية نجد عدم الرضا على المدارس الفنية السابقة، ولكن علينا أن لا نسأل عن منهج لهذه النقلة؛ لأنها نقلة فنية) وقد التحق بهذه المدرسة

[•••] جوزيف مالورد ويليام تيرنر ، هو فنان رومانسي إنكليزي اشتهر برسوماته حول الطبيعية ومائياته والطبعات الفنية. وكان تيرنر مثيرا للجدل في حياته لكنه الآن يعدّ الفنان الذي سما بالرسم الطبيعي إلى مستويات تناطح مكانة الرسم التاريخي. اشتهر برسوماته الزيتية كما يعدّ من كبار رسامي المائيات البريطانيين. " الشبكة العنكبوتية"

[••••] رائد المدرسة الانطباعية في الرسم، قام بإنجاز لوحة جديدة عام 1872 م، وسماها "انطباع، شمسٌ مشرقة"، ولما كان الأول في استعمال هذا الأسلوب الجديد من التصوير، فقد اشتق اسم المدرسة الجديدة من اسم لوحته: الانطباعية

[•] فينسنت ويليم فان خوخ ت كان رساماً هولندياً، مصنف كأحد فناني الانطباعية. تتضمن رسومه بعضاً من أكثر القطع شهرة وشعبية وأغلاها سعراً في العالم. عانى من نوبات متكررة من المرض العقلي — توجد حولها عديد النظريات المختلفة — وأثناء إحدى هذه الحوادث الشهيرة، قطع جزءاً من أذنه اليسرى. كان من أشهر فناني التصوير التشكيلي " الشبكة العنكبوتية"

[••] بول غوغان رسّام فرنسي تخرج في أحضان المدرسة الانطباعية، لكنه أبدى ميولات أخرى، فكان من المؤسسين لحركات فنية لاحقة. كان يريد أن يستكشف المنابع الأولى للإبداع، فأمضى مدة في بريطانيا، قضاها رفقة جماعة من أصدقائه: اميل برنارد وآخرون " الشبكة العنكبوتية"

[•••] بول سيزان هو رسّام فرنسي عاش على غرار زملائه من المدرسة الانطباعية، مارس التصوير في الهواء الطلق، لكنه قام بنقل أحاسيسه التصويرية، في تراكيب جسمية وكتلية. من أهم الموضوعات التي تعرض لها: الطبيعة الصامتة، والمناظر الطبيعية، وصور شخصية، وملامح بشرية، ومشاهد لمجموعات من المستحِمين أو المستحِمات .المصدر الشبكة العنكبوتية.

(أندريه ديران: **1906** م)، وكذلك بعض الفنانين الشباب أمثال: (هنري ماتيس **Matisse**) و(ماركيه **Marquet**) و(مانجان **Manguin**) و (جورج رووه **Rouault**) منذ عام: **1892** م، بمرسم الفنان الرمزي (غوستاف مورو **Gustave Moreau**) في باريس لتعلم الرسم، ومع أن هؤلاء الطلاب لم يتبعوا أسلوب أستاذهم إلا إنهم تأثروا بشخصيته في هذه الومضة عن العلاقة بين الأستاذ والطلاب إشارة فنية جميلة تقول: آثر الأستاذ غالباً يوجد وربما بطرق مختلفة حتى بين الطلاب أنفسهم نحو استاذهم، وهو الأستاذ بالأكاديمية الفرنسية ـ وكذلك بأفكاره التحررية الجريئة التي كانت تعمل على تحرير الفن وفصله عن الواقع و(هنا يوجد فارق مهم يتصل بعملية الرضا، فهو هنا ذاتي وليس له أي علاقة مع مشاعر وحاجات الآخرين، إنه من الذات وإلى الذات) وقد انضم إلى المجموعة أيضاً كل من الفنانين: (دوفي **Dufy**) و(فريز **Friesz**)، و(براك **Braque**) الذين درسوا الفن في مدينة هافر،كما التقاهم فيما بعد، وعلى مراحل مختلفة كلاً من الفنانين: (ديران **Derain**)، و(ڤلامنك **Vlaminck**)، و ڤلتات **Valtat**)، و (جان بوي **Jean Puy**)، و (ڤان دونجن **Van Dongen**)، و(كاموان **Camoin**)، ومع أن هؤلاء الفنانين اتبعوا في البدء مدارس وأساليب فنية مختلفة، وكانوا مختلفي الطبائع، إنهم اجتمعوا معاً في الثورة على تقاليد المدارس الفنية وقيودها، وانطلقوا للتعبير مباشرة عن انفعالاتهم: **Their emotions** بحرية مطلقة باستخدام الألوان الصافية

والمتضادة، وكانوا في ثورتهم هذه يبحثون عن خواص الفن التشكيلي الأساسية التي أغفلها الفن الأكاديمي الاتباعي، وبذلك انفتحت أمامهم عوالم واسعة للبحث والتجريب، ومن دون أن يشعروا بالحرج من التأثر بالفنون الأجنبية ولاسيما البدائية الإفريقية، وبالتعبير الحسي الصافي في رسوم الأطفال. فلامنك: السيرك: **1906**م، وكان الفنان ماتيس الأب الروحي لفناني المدرسة الوحشية؛ لكونه أكبرهم سناً، وأكثرهم ثقافة، فقد وقف ضد الأساليب المنهجية المتزمتة التي وصلت إليها المدرسة الانطباعية المحدثة: **Neo-impressionnisme** التي كان من روادها الفنانان (سورا **Seurat**) و(سينياك **Signac**)، اللذان حوّلا المدرسة الانطباعية - رائدة ثورة الفن الحديث - إلى فعل ميكانيكي، أدى إلى تمزيق الشكل وتلاشيه في موجات بقع ألوان دقيقة، فقدت مع الزمن بريقها باستخدامها الألوان الرمادية.

أراد ماتيس ورفاقه أن يعيدوا إلى الانطباعية الأولى مجدها، والاستمرار في تطويرها. وكانت أعمال مونيه ـ ومن أهمها لوحته: «**14** تموز» التي رسمها عام: **1872** م ، وفيها صوّر الرايات والتزيينات بألوان مشعة صافية - مثالاً لتطلعاتهم، وهو ما حفزهم على استخدام الألوان الصارخة والصريحة كما هي من دون مزج، وبلمسات عريضة وكثافة واضحة، فتوصلوا بذلك إلى أقصى حد من التبسيط. وباستخدامهم المساحات الكبيرة المسطحة غاب

الخط والمنظور من أعمالهم، وغاب معهما الموضوع الدرامي والأدبي، بل عملوا على انتقاء الموضوعات البسيطة التي يستطيعون من خلالها تحقيق أفكارهم التشكيلية، كالاحتفالات بزيناتها وأعلامها الملونة، والجدران الزاخرة بالإعلانات وغيرها.

وهكذا كان الفنانون الوحشيون عموماً يستسلمون لسليقتهم بالتعبير الحر والعفوي، ويبتعدون قدر الإمكان عن التحليل العلمي للّون والشكل، وكان الهدف من كل ذلك خلق المتعة المجردة لدى الفنان والمشاهد. وبعيداً عن فن التصوير ومدارسه يُعدّ "أرسطو هو الفيلسوف الأول الذي صاغ قواعد من أجل فن الخطاب ووضع شروط الإقناع وألف كتاب الخطابة من أجل قياس القدرة التي يمتلكها المرء من لأجل السيطرة على غيره بالاعتماد على الكلام، وأول من اعترف بوجود صلة بين الخطابة والجدل ودحض المزاعم التي رددها السفسطائيون، لقد أعطى باعث المعهد في النظام التعليمي لفن الخطابة استقلالية كانت غائبة عند أفلاطون، واهتم بالحجج المنطقية التي تسمح بإنتاج خطاب إقناعي، وفتح باب هذا الفن ليس على المختصين فحسب، بل على الجميع.

من هذا المنطلق تُجمع التجربةُ الإنشائية عند أرسطو، التي تدور عن استعمال اللغة بين الصور الرمزية والعلامة والاستعارة والتشكيل والمحاكاة والتخييل والمجاز، وتضم فن الشعر وفن الخطابة وفن السفسطة"[54]، وبعد هذا التعريف المختصر بالفن ننتقل إلى مفهوم آخر له علاقة بمفهوم الرضا.

[54] د زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

ثانياً السكوت: Keep quiet.

السكوت لغة: (اسم)، الجمع: سُكُتٌ، والسَّكُوتُ: وصف المبالغة (للمذكر والمؤَنَّث) والسَّكُوتُ من الإِبل: التي لا تَرْغُو عند وضع الرَّحْل ونحوه عليها، ويقال سكَت الشَّخصُ عن الكلام: صمَت، وانقطع عن الكلام. وفي هذا السياق قال تعالى:" وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ "سورة الأعراف، الآية: (154). يقول تفسير ابن كثير عن سكت:" أي: سكن. عن موسى الغضب"[55] و" قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "ولما سكت عن موسى الغضب" ولما كفّ عنه، وسكن"[56] وبين السكوت والصمت جوار منها ما ورد في الحديث الشريف: قوله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليسكتْ"، ثم قال: "من صمتَ نجا". وفي توظيف الصمت يروى: "أن أعرابياً كان يجالس الشَّعبي يُطيل الصمت، فسأله يومًا: لمَ لا تتكلم؟ قال: أسمع لأتعلم، وأسكت فأسلم"[57] فهنا الرضا بالصمت، لأنه

[55] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" تحقيق، أ.د حكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الجزء الرابع، 1431 هجرية، ص: 91.
[56] الطبري" تفسير سورة الأعراف" موقع على الشبكة العنكبوتية.
[57] دائرة الإفتاء الأردنية " منظمة حكومية" مصدرها كتاب وفيات الأعيان، لابن خلكان (14/3). الشبكة العنكبوتية.

برغبة، وموظف لصالح قضية معينة. ومن الممكن أن يوظف الصمت ليس لصالح الرضا، ولكن لمكسب آخر كما جاء في قول الشاعر:

" واجعلِ الصَّمت إن عَيِيت جوابًا
ربَّ قولٍ جوابُه في السُّكوتِ"[58]

هنا صمت لعلة وليس بسبب الرضا، ومن الوجهة القانونية فإن " الأصل أن السكوت في حد ذاته لا يفيد شيئاً، ولذلك لا يصلح كأصل عام للتعبير عن الإرادة، استنادًا إلى القاعدة الفقهية التي قررها فقهاء الشريعة الإسلامية، وهي: لا ينسب إلى ساكت قول، ولكن قد يلعب السكوت أحياناً دوراً في قيام التصرفات القانونية"[59]، وكما هو معروف فإن فكرة الرضا هي شعور يعبر به الإنسان عن نفسه من خلال إرادة القول والفعل، والحكمُ به في القانون يكون نتيجة منطقية لذلك، وهناك أفعال تقوم بها بَعض المؤسسات قد يتم السكوت عنها من جهة مناظرة لها، أي، أنها تقبلها بالسكوت أو التغاضي، وما أكثر ما يحدث ذلك اليوم، ولقارئ كريم أن يقول: قد يكون السكوت الذي من الممكن أن يوصف بالرضا بالضعف وعدم قدرة الساكت على البوح بما يراه؟ كما نجد ذلك في عديد المواقف السياسية في قضايا الوطن العربي، ويقول آخر من الممكن أيضاً أن يكون

[58] الدرر السنية، المشرف العام على عبد القادر السقاف" موسوعة الأخلاق" الشبكة العنكبوتية.
[59] محمّد عبدالله الدليمي" النظرية العامة للالتزام" ص: 53 .

السكوت مبنياً على التبعية وعدم قدرة الساكت على تحدي من يتبعه، كما في مواقف الدول العربية التي كانت وربما ما زالت تحت الاستعمار الفرنسي؟ وربما يكون السكوت عن قولة الحق راجعاً إلى وجود إطار اجتماعي يصعب اختراقه كما في نظام القبائل العربية، بحيث لا يستطيع أي متعلم مهما كانت درجته العلمية أن يتحدى شيخ قبيلته، كما يشير القانون إلى فكرة السكوت بالقول، "لا يعدّ السكوت المجرد من حيث المبدأ ـ تعبيراً عن الإرادة؛ لا إيجاباً ولا قبولاً؛ وذلك لأن الإرادة حركة، أما السكوت فسكون، ويترتب على ذلك أن السكوت لا يعدّ تعبيراً ضمنياً عن الإرادة، لأن التعبير الضمني يستلزم استعمال وسائل من أجل التعبير عن الإرادة، وإن كانت لا تدل بذاتها ومباشرة على حقيقة المعنى المقصود الذي اتجهت الإرادة إليه، إلا أن ظروف الحال ترجح هذا المعنى على غيره، ويترتب على ذلك أن التعبير الضمني عن الإرادة هو وضع إيجابي، في حين أن السكوت هو وضع سلبي، ولا يعدّ السكوت إيجاباً مطلقاً؛ لأن الإيجاب هو الإرادة المبتدئة التي تكون الشق الأول من العقد، فلا بد من أن يدل عليها عمل إيجابي.

أما بالنسبة إلى القبول، فإن السكوت قد يعدّ قبولاً، وذلك على سبيل الاستثناء؛ لأنه في بعض المعاملات قد يجعل سبق الإيجاب من السكوت دلالة على الرضا، وهذا هو السكوت الملابس، وقد نصت المادة: (67) من

مجلة الأحكام العدلية على أنه: "لا ينسب إلى ساكت قول، ولكن السكوت في معرض الحاجة إلى البيان بيان»، وذلك لأن السكوت عدم، ودلالة العدم هي الرفض لا القبول، وهذا هو المبدأ العام المتمثل في أن السكوت لا يعدّ تعبيراً عن الإرادة، ولكن تُرد على هذا المبدأ بعضُ الاستثناءات، حيث يعدّ السكوت فيها تعبيراً عن الإرادة، وذلك إذا أحاطت به ظروف ملابسة، ولكنه لا يعدّ إلا قبولاً"[60]، وقد يصعب وصفه بصفة الرضا الكامل.

[60] فواز صالح" الموسوعة العربية القانونية المتخصصة" أركان العقد" الشبكة العنكبوتية.

ثالثاً الخضوع Submission

الخضوع لغة. خَضوع: (اسم) والجمع: خُضُعٌ، والخَضُوعُ: الخاضعُ، والخَضُوع: الكثير، والخضوع (صِيغَةُ فَعُول) وَلَدٌ خَضُوعٌ: خَاضِعٌ، طَيِّعٌ، والخُضُوع في العبادة: هو ركوع المشاعر وسجودها، لذلك هو أصل معنى العبودية في اللغة، والخضوع يعني الاستسلام، ويمكن اشتقاقه من كلمة الإسلام بمعنى الاستسلام أي: إسلام النفس وكل ما تملك إلى مالكها الحقيقي، الذي هو الله سبحانه، أي: التجرد من كل ما تملك لتنسبه إلى مالكه الحقيقي، وهو الله سبحانه؛ لذلك هو أصعب شعور على النفس، فأنت مستسلم مغلوب على أمرك، هذا النمط من الخضوع يرجح دائماً ارتباطه بالجانب الديني، ومن نماذجه موقف النبي أرميا "، وفي مسألة الخضوع نشير إلى موقف أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو أرميا عاش نحو 650 إلى 585 ق.م هو أرميا، وقيل: أرمياء، وقيل: يرميا، وقيل: يرميه، وقيل: رميا بن حليقا، وقيل: حزقيا من سبط ابن نبي الله يعقوب عليه السلام، وقيل من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، أحد أنبياء بني إسرائيل بعد شيث•، وهناك من وحده مع نبي الله عزير، ونبي الله الخضر، وقيل: إن الخضر لقب من ألقابه. كان مؤمناً، صالحاً، ورعاً، زاهداً، قديساً، كثير

• النبي شيث هو ابن سيدنا آدم عليهما السلام، وهو النبي الأول بعد وفاة والده، ومعنى اسمه «هبة الله»، وذُكر أنه وُلد بعد وفاة هابيل، فسماه آدم بهذا الاسم. موقع " البيان" على الشبكة العنكبوتية.

البكاء، من خشية الله، فعرف بالبكاء. أدرك هذا النبي أن فكرة الرضا بين الله وقومه قد قُطعت أوصالها بعد أن أظهروا المعاصي، وقتلوا الأنبياء والصلحاء؛ وكان قد تنبأ لبني إسرائيل بسقوط أورشليم وخرابها وتدمير هيكل سليمان عليه السلام، فدعاهم للخضوع والإذعان (لنبوخذ نصر) فكذبوه واضطهدوه، وكانت مدة خدمته (41) سنة، قابلوه بالعصيان والتمرد والتكذيب، ثم ألقوا القبض عليه وسجنوه، وذلك في عهد ملكهم صدقيا••، وبعد أن مكث في السجن عشر سنين أرسل الله عليهم نبوخذ نصر وجحافل عساكره، فنزل في أراضيهم، وبطش بهم، وقتل منهم جمعاً غفيراً، وخرب ديارهم، وسبى الآلاف منهم، ثم أمر بهدم بيت المقدس، وأسر صدقيا الملك، وأصدر أمراً بإلقاء القاذورات والجيف في معابدهم"[61]، وقد يكون سبب الخضوع الفقر.

ويمكن الاستشهاد على هذا الموقف بتجنيد شبابٍ وأطفالٍ من السودان من قبل بعض الدول وشراء دول أخرى لخدمات شركة الفاغنر• الروسية للقتال

•• صدقيا (إسمه باللغة العبرية צִדְקִיָּהוּ، الله عادل) هو أخر ملك لمملكة يهوذا اسمه الحقيقي هو (متنيا) تولى الحكم في سنة: 597 ق م بعد حصار القدس أي بعد السبي البابلي الأول. " موقع الأنباء تكلا هيمانوت" قاموس الكتاب المقدس | دائرة المعارف الكتابية المسيحية، شرح كلمة، صِدْقِيَّا المَلِك، ابْن يوشيا | آخر ملوك يهوذا

[61] يمكن التوسع في معرفة هذا النبي والموقف بالرجوع إلى " كتاب مقارنة الأديان اليهودية لمؤلفه الدكتور أحمد شلبي"

• مجموعة فاغنر (بالروسية: Группа Вагнера) هي منظمة روسية شبه عسكرية. وصفها بعضهم بأنها شركة عسكرية خاصة (أو وكالة تعاقد عسكرية خاصة) ، أفيد بأن مقاوليها شاركوا في صراعات مختلفة، بما في ذلك عمليات في الحرب الأهلية السورية إلى جانب الحكومة السورية، وكذلك من عام: 2014 حتى عام 2015، في الحرب في دونباس في أوكرانيا لمساعدة القوات

في اليمن وليبيا ربما بتوجيه من بعض القادة العسكريين في بالدناهم: (2015م – 2020م)، وهم في هذه الحالة يظلمون من قبل دولهم ، وعند سؤالهم سيقولون لك الفقر هو الدافع لما قمنا به، وهذا القول محاولة للتبرير، ولكنه في منطق الرضا لا يقبل، وهناك فرق بين الرضا بالواقع، والخضوع من جهة والتعامل مع الواقع لمحاولة تغييره وامتلاك أدوات التغيير من جهة أخرى، والواقع الظالم مهما طال لا يغير الحقائق، ومفهوم الخضوع في الجانب السياسي، له نمطين كما تشير إلى ذلك مراجع تطور البحث السياسي: "الخضوع لسلطان القانون، والخضوع لإرادة مخلوق آخر من بني البشر حتى ولو كان هذا الشخص الآخر حاكماً بأمره وانفرد بالحكمة والخير، والفرق بينهما أن الخضوع في الحالة الأولى يتمشى مع الشعور بالحرية والكرامة بعكس الأمر في الثانية "[62]، ويبقى الخضوع مختلفاً عن الرضا النفسي والرضا الإلهي.

الانفصالية في جمهوريات شعب دونيتسك ولوهانسك المعلنة ذاتياً، كما شاركت المجموعة بمقاتلين في الحرب على طرابلس الليبية التي قادها االقائد العسكري خليفة حفتر الفرجاني. ويرى آخرون أن فاغنر هي في الحقيقة وحدة سرية تتبع وزارة الدفاع الروسية، وتستخدمها الحكومة الروسية في الصراعات عندما تكون هناك حاجة للإنكار، كما تقارن مجموعة فاغنر بالأكاديمية، وهي شركة الأمن الأمريكية التي كانت تعرف سابقًا باسم بلاك ووتر.المصدر: الصراع الليبي على الحكم بعد ثورة 17/فبراير سنة 2011م.

[62] جورج سباين " تطور الفكر السياسي" الكتاب الأول ص 80

رابعاً القبول: admissions

قَبول: (اسم) قَبُول / قُبُول، (مصدر قَبِلَ) القَبُولُ الْمُوَافَقَة، والقَبُولُ الرِّضا بالشيءِ وميلُ النَّفْس إليه، والقَبُولُ: الحُسْنُ والشَّارَةُ، إمّا القبول وإمّا الرَّفض، يجب اتِّخاذ القرار بصورة حاسمة، والقبول اصطلاحاً: يعني موافقة على تسلُّم شيء أو الرِّضى طوعًا بأمر. وهو كذلك إنشاء الموافقة والرضا على العقد من المتعاقد بعد أن يكون قد أنشئ الإيجاب، و"قد يسأل بعضهم عن حقيقة صفة الرضا، فهل هي القبول بالواقع والركون له؟ أو هي عدم القبول بالواقع بتغيير كيفيته؟ فهناك مفهومٌ خاطئٌ لدى الكثيرين الّذين اعتقدوا بأنّ الرضا: هو الاستسلام للواقع، أو السكون أمامه، وعدم الحركة، فصفة الرضا هي تغيير الحركة، والتأثير في الواقع المعيش، وليست هي الاستسلام، والخضوع الّذي يدّعيه بعضهم"[63] وهكذا نجد كيانين أحدهما لفكرة القبول، والثاني لفكرة الرضا والخيط الواصل بينهما رفيع جداً.

[63] على حسين بورويس " الآثار العلمية لصفة الرضا" مجلة رسالة القلم إسلامية ثقافية شاملة، الشبكة العنكبوتية.

خامساً الصبر: Patience

"معنى الصبر لغةً: الصَّبْـرُ نقيض الجَزَع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْـرًا، فهو صابِرٌ، وصَبَّار، وصَبِيرٌ وصَبُور، والأُنثى صَبُور أَيضًا يقال بغير هاء، وجمعه صُبُـرٌ. وأَصل الصَّبْر: الحَبْس، وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه، والصبر: حبس النفس عن الجزع وَ صَبَّرَهُ: طَلَبَ منه أن يَصْبِرَ والصبور: الحليم الذي لا يُعاجل العُصاة بالنقمة، بل يعفو، أو يؤخرُ"[64]، ومعنى الصبر اصطلاحًا: (حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره)، وقيل هو ترك الشَّكْوى من ألَم البَلْوى لغيْر الله، لا إلى الله"[65] وقيل "الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه"[66] وقريب منه تعريف ابن القيم، الذي عرف الصبر بأنه: ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية، ونظراً لما للصبر من مشاق على النفس فإن كتب الفقه تقول عنه " الصبر أجره بغير حساب، بخلاف سائر الأعمال، فإن أجورها بمقدار، وهو أربعة أنواع: صبر على بلاء الله وهو المقصود بالذكر، وصبر على نعم الله: أن لا يطغى بها، وصبر على

[64] الطاهر أحمد الزاوي " مختار القاموس" الدار العربية للكتاب، 1984م، ص: 349 .
[65] الجرجاني " التعريفات" تحقيق، محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصن: ص: 112.
[66] الدرر السنية " موسوعة الأخلاق" مرجع سبق ذكره، الشبكة العنكبوتية.

طاعة الله، وصبر على معاصي الله "[67]، والصبر مقام في الصوفية خامس المراتب: هو الصبر، أي: تحمل المصاعب من توقا لله والانتظار حتى تمر الصعاب. وقد قسم الغزالي الصبر إلى عدة أنواع وهي: تحمل الألم، والتغلب على نزعة تجاه الشر والطمع، وتحمل صعاب المعارك، وتغلب على الغضب، ومقاومة حب الاقتناء. ويعدُ الرسول الصبر من أصعب مهام المسلم؛ ولهذا اهتم الصوفيون على تنميته، ويُعد من المفاهيم الجديدة في فلسفة السياسة ظهور مفهوم الصبر الاسترتيجي الذي جاء على لسان وزير الخارجية الأميركي، (ريكس تيلرسون)، قبل أيام قليلة، عندما صرح بأن سياسة الصبر الاستراتيجي تجاه كوريا الشمالية قد انتهت." واقع الأمر أن تعبير الصبر الاستراتيجي **Strategic patience** جاء في توقيت مهم جداً، حيث يتساءل كثيرون في هذا العالم، من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، عنس المدى الذي يمكن أن تصل إليه الأزمة الراهنة في منطقة شبه الجزيرة الكورية؟ "[68] من هذا المفهوم إلى ما قد يورثه دوامه وهو الذل.

[67] محمّد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي"، قوانين الأحكام الشرعية" الطبعة الأولى، عالم الفكر، القاهرة، مصر: 1975م، ص: 455 .

[68] عماد عريان" الأزمة الكورية. توتر حقيقي أم مشكلة نمطية ؟ عمان للإعلان" رئيس التحرير، سيف بن سعيد المحروقي، الشبكة العنكبوتية، 22مارس: 2017م.

سادساً الذل Humiliation

تعريف الذُّل لغةً:

الذُّل: نقيض العزّ، وأصل هذه المادة يدلُّ على الخُضوع، والاستكانة، واللِّين، يقال: ذلَّ يذِلُّ ذُلًّا وذِلَّة وذَلالة ومَذلَّة: إذا ضَعُف وهان، فهو ذليل بيِّن الذُّل، والمذلة من قوم أذلاء وأذلة وذلال، والذُّل: الخسة. وتذلل له: أي: خضع. ويعرف الذل اصطلاحاً. عند ابن عاشور بالقول: الذلة: خضوع في النفس، واستكانة من جراء العجز عن الدفع وقال العسكري: الذلة: الضعف عن المقاومة"[69] وفي هذا السياق قال تعالى " ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ "سورة آل عمران، الآية: (112)، يقول ابن كثير" أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ أي: بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة، وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ. أي: أمان منهم لهم،كما في المهادن والمعاهَد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين، ولو امرأة، وفي المجمل تأمينهم من قبل

[69] الدرر السنية " موسوعة الأخلاق" الصفحة الرئيسية، مرجع سبق ذكرة، الشبكة العنكبوتية.

الناس والله سبحانه وتعالى"[70]، وقدم بعض المفسرين لتفسير النص (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) " أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون (إلا بحبل من الله) أي: بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة (وحبل من الناس) أي: أمان منهم ولهم، كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة، وكذا عبد، على أحد قولي العلماء، قال ابن عباس: (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) أي: بعهد من الله وعهد من الناس وهكذا قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحّاك، والحسن، وقتادة، والسدي والربيع بن أنس وقوله (وباءوا بغضب من الله) أي: ألزموا فالتزموا بغضب من الله، وهم يستحقونه (وضربت عليهم) أي: ألزموها قدراً وشرعاً لهذا قال: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق)، أي: وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد، فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبداً، متصلاً بذلة الآخرة، ثم قال تعالى: (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي: إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله، وقيضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله عزوجل، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله"[71]، ومن الذل إلى الإكراه، لننظر ما هي علاقته بمفهوم الرضا محور الدراسة في هذا الكتاب.

---

[70] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء، 2، ص: 405.

[71] الباحث القرآني، "تفسير ابن كثير، لسورة آل عمران"، موقع على، الشبكة العنكبوتية.

سابعاً الإكراه Coercion

عرف بعض البحاث الإكراه بالقول "الإكراه لغة: حمل الغير على ما لا يرضاه قهرًا، وفي اصطلاح الفقهاء: حمل الغيرِ على أن يفعل ما لا يرضاه، ولا يختار مباشرته، لو ترك ونفسه. إِكراه: (اسم) مصدر أَكْرَهَ. يقال لاَ إِكْرَاهَ فِي طَلَبِ العِلْمِ : لاَ إِرْغَامَ ، قال تعالى"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" سورة البقرة، الآية: (256) والإكراه هنا يعني الفعل وفي ذات المعنى، قال تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" سورة فصلت، الآية: (11)،" أي: استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين، قال الثوري: قال الله تبارك وتعالى للسماوات أطلعي شمسي وقمري والنجوم، قال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك"[72] وفي تفسير هذا النص قال بعض المفسرين" (فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) يقول جلّ ثناؤه: فقال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن

[72] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره،الجزء 6، ص: 516.

الأنهار (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك"[73] وللإكراه أنواع منها:

1- الإكراه الملجئ: الذي يكون بالضَّرب الشَّديد المؤدِّي إلى إتلاف النَّفس أو قطع عُضْو، ومن أوضح الأمثلة على ذلك في المجال الفني الأدبي ما ذكرته بعض الروايات العالمية: "وقرر نوح الهرب إلى الشمال، حيث الحرية، وكفولة للجميع، وطلب من الفتاة (كيزي) أن تكتب له تصريحاً مزوراً، لكي يقدمه لدوريات المرور إذا اقتضت الضرورة. ولكن الدوريات اكتشفت التزوير. فألقي القبض على نوح، وتم تعذيبه في السجن إلى أن اعترف بأن (كيزي) هي التي كتبت التصريح، فقرر السيد وليام وولربيع (كيزي) فاشتراها تاجر عبيد، ثم ابتاعها للسيد جون لي"[74]

2- الإكراه غير الملجئ: الذي يوجب الألمَ فقط، كالضَّرب والحبس ثانيًا: نوعَا الإكراه: - الإكراه المُلجِئ أو الكامل: وهو الذي لا يبقى للشخص معه قدرة ولا اختيار؛ وذلك بأن يهدِّده بما يضر بالنفس أو بعضوٍ من البدن، وحكمه أن يعدم الرضا ويفسد الاختيار. الإكراه غير الملجئ أو الناقص: وهو التهديد بما لا يضر النفس أو العضو؛ كالتخويف بالحبس أو القيد أو الضرب الذي لا يتلف، وحكمه أنه يعدم الرضا، ولا يفسد الاختيار.

---

[73] تفسير الإمام الطبري، الشبكة العنكبوتية.

[74] اليكس هيلي " جذور" ترجمة، عبدالحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني: 1986م، ص: 6.

والمقصود بالرضا: الارتياح إلى فعل الشيء، والرغبة به. وأضاف الحنفية نوعًا ثالثًا، وهو الإكراه الأدبي: وهو الذي يعدم تمام الرضا، ولا يعدم الاختيار؛ كالتهديد بحبس أحد الأصول أو الفروع أو الحواشي، وحكمه أنه إكراه شرعي استحسانًا لا قياسًا"[75].

بعد هذه الإشارات إلى عدة مفاهيم وعلاقتها بمفهوم الرضا نقول في تعريف إجرائي: الرضا الذي ينشده الكتاب ويتفق مع طبيعة الإنسان هو: الرضا النابع من الذات الراغبة فيه، المعبرة عنه سلوكاً وقولاً وفعلاً، الحافظ للكرامه والمعبر عن الذات في أجلى صورها، وننتقل الآن إلى الفصل الثاني لنرى الرضا وكيفية تمثله في منشط إنساني وجد منذُ وجوده، وهو مجال البحث الفلسفي.

[75] أ. د. الحسين بن محمد شواط، د.عبدالحق حميش" فقه العقود المالية، نشر دار الكتاب الثقافي، ص: 223 .

الفصل الثاني

"فكرة الرضا في الفلسفة":

The idea of contentment in philosophy

يشير بعض الباحثين إلى فكرة مهمة في مسألة الرضا مفادها" أن العمل في وظائف نوعية يحصر معناه في المهمة التي ينبغي إتمامها"[76] وهذا الأمر يرتبط بفكرة تخيل الهدف الذي ينبغي الوصول إليه. يقول في فكرة الرضا (ما لبرانش• Nicolas Malebranche 1638 – 1715م)" ينبغي للمرء أن يسلم بالقول الذي يجده صحيحاً، لأنه إذا ثبتت له صحة القول، وامتنع عن التصديق به، شعر بقلق النفس، وملامة العقل"[77]. وعن دور الخبرة في الرضا نورد هذه الفكرة" فإن الخطى إلى أعلى الجبل ليست مجرد خطى بالغة الكثرة تدخل في تركيب مجمل الإشباع والرضا. ويصبح العمل الذي تتبع خطاه خيالياً وكأنه الشعور الأسمى المطول بالقناعة والرضا بالهدف النهائي"[78]هذا القول وفكرة الرضا في ذاتها تبسط السؤال التالي: لماذا عدم وجود فكرة الرضا في البحث الفلسفي تُعدّ سمة من سماته؟ الإجابة عن هذا السؤال تعود إلى طبيعة الفلسفة في ذاتها، حيث يرى بعض الباحثين ذلك، ويرسمه في الصورة التالية: "لقد أشكلت الفلسفة على الإنسان أيما استشكاله واستعصت على الفهم أيما استعصاء، سواء من جهة

---

[76] وليام ارنست هوكنج" معنى الخلود في الخبرات الإنسانية" ترجمة، مترى أمين، الطبعة الأولى، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمي، القاهرة،مصر،19829/،ص:98.

• ينتمي نيكولا مالبرانش إلى جمعية الأوراتوار، وهو كاهن وأوراتواري وفيلسوف عقلاني فرنسي، سعى في أعماله إلى تجميع فكر القديس أغسطينوس وديكارت، من أجل إظهار الدور الفعال لله في كل جانب من جوانب العالم، يشتهر مالبرانش بمذاهبه وهي الرؤية في الله، والسببية، والأنطولوجيا.

[77] جميل صليبا" المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص: 617 .

[78] وليام ارنست هوكنج" معنى الخلود في الخبرات الإنسانية" ترجمة، مترى أمين، الطبعة الأولى، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمي، القاهرة،مصر،19829/،ص:98.

العبارة، أو الفكرة، أو المنهج، أو الموقف، ولقد زاد هذا الغموض عند قيام الاتجاهات الفلسفية، وبروز الفلاسفة الكبار واكتساح المدارس الفكرية والمذاهب العلمية، واندلاع نزاع العمالقة حول الوجود، إذ تبدو الفلسفة من جهة أولى تجربة فكرية صعبة تجلب الحيرة والارتيابيه وتوقع الذهن في الكثير من المزالق، ومن جهة أخرى يمكن حفظ قواعدها واستعمال طرقها في الحياة والتعويل عليها في التطور"[79]. وبالنظر إلى مسألة الرضا في الفلسفة تُقدم عدة أسئلة منها: هل ما آلت إليه مدينة اسبرطة نتيجة لسياسة حكامها، ومفكريها يعبر عن رضا كل أوجل سكانها؟ " فإسبارطه خرجت من تاريخ الحضارة بكافة معانيها اللّٰهُمَّ إلا معناها السياسي وحده باعتراف المؤرخين. وهي لم تترك أثراً يدل عليها. ومرد ذلك بنظرهم إلى غياب الحرية فالسلطة في هذه المدينة كانت بيد أرستقراطية عسكرية حصرت اهتمامها بتخريج بواسل ولا شيء غير الجنود"[80]

وبالعودة إلى الصعوبة الفلسفية، لعل تلك الصعوبة والاستشكال من العوامل التي قادت وشجعت الفلاسفة على ارتياد مجاهل فكرية لم تكن معروفة من قبل، وفي المجال السياسي يعدّ فيلسوف القرن السابع عشر الإنجليزي (توماس هوبز) **Thomas Hobbes 1588-1679**م ضمن

[79] د .زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

[80] حسين حرب" الفكر اليوناني قبل أفلاطون" الطبعة الأولى،دار الفكر اللبنانيللطباعة والنشر،بيروت، لبنان،1990م، ص: 33.

مجموعة الفلاسفة السياسيين العظماء بحق، فتنافس تحفته اللفياثان leviathan• في أهميتها الكتابات السياسية لأفلاطون، وأرسطو، ولوك.

أصبح هوبز ذائع الصيت في أيامه الأولى، لتطويره الدقيق لما أصبح يعرف بـنظرية العقد الاجتماعي **Social contract theory**، وهو المنهج الذي يسوّغ لمبادئ أو ترتيبات سياسية بواسطة الاحتكام إلى توافق يُبرم بين أفراد أحرار، ومتساوين، وذوي حالة عقلية سليمة. ويجادل (هوبز) بأنه يمكن لكل فرد منا بصفتنا كائنات عقلانية إدراك أن حرب الكل على الكل أمر ضار على تحقيق مصالحنا الشخصية، ولهذا يمكننا الاتفاق على أن السلام خير، ومن ثم تصبح السبل إلى السلام أو وسائله خيّرة، سيدرك البشر حتمية السعي إلى السلام بصفته أمرًا واجبًا، ولبلوغ هذا المسعى يتحتم علينا الحفاظ عليه، حين يمكننا تحقيقه بطرق آمنة. وبالنظر لهذه الفكرة يمكن القول أن: "فكرة اعتماد الحكم على ميثاق بين الحاكم والشعب، فكرة أقدم بكثير من النظريات الحديثة في القانون الطبيعي؛ إذا إنها متضمنة في علاقة سيد إقطاعي بأتباعه، وفي هذه الفكرة القديمة ظهر الشعب أو المجتمع كهيئة جماعية"[81]، وبداخلها توجد فكرة الرضا خصوصاً

• اللفياثان: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة أو اللفياثان، كتاب ألفه توماس هوبز ونُشر في عام: 1651. يُشتق اسم الكتاب من اللوياثان المشار إليه في العهد القديم. يدور العمل حول شرح بنية المجتمع وشرعية الحكومة، ويُعدُّ واحدًا من أوائل الأمثلة المؤثرة في نظرية العقد الاجتماعي في العالم الغربي.

[81] جورج سباين " تطور الفكر السياسي" ترجمة، راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الجزء الثالث، ص: 587.

في النطاق الأسري، ويكون منبعها هنا أخلاقي، ولا علاقة له بالسياسة. ويطلق (هوبز) على هذه الواجبات العملية اسم قوانين الطبيعة "، وهي جُملة طرقٍ من نوع (عامل الناس بما تحب أن تُعامل)، وهذه "التعاليم" أو "النتائج" أو "النظريات" النابعة من العقل أزلية وغير قابلة للتغيير، وهي تستلزم منا القبول؛ حتى حينما لا نتصرف وفقًا لها بطريقة آمنة، تحرم هذه التعاليم الرذائل المتعارف عليها مثل الظلم، والوحشية، والجحود، ومع أن الشُّراح لم يتفقوا على ما إذا كان يجب عَدُّ هذه القوانين تعاليم مجرّدة للحصافة، أو أنها تعد من باب أولى أمورًا إلهية، أو واجبًا أخلاقيًا من وجه آخر، ولكنهم أجمعوا على أن (هوبز) يأخذ على أيدي الناس إلى الخضوع لسلطة سياسية.

تحثّنا هذه التعاليم على السعي إلى السلام مع الآخرين يتشاركون ذات الغاية بالاستغناء عن جزء من "حقنا في كل شيء"، وهذا ما يمكن أن يمثل حالة الرضا نسبةً لهذا الموقف، وذلك يتأتى بواسطة معاهدة متبادلة على الخضوع لسلطة ذات سيادة، حيث تأخذنا هذه المعاهدة إلى مزيد ترسيخ لهذه السيادة.

وفي الفصل السادس من كتاب الحكومة المدنية؛ لمؤلفه جون لوك **John Locke 1632- 1704**م "المجتمع السياسي أو المدني" نجد تصوره القائل: "الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يحتاج للآخرين، لذا هيأ الله له الفهم

واللغة، ويسر له القدرة على التفاهم مع من حوله، كان المجتمع الأول يتكون من الرجل وزوجته ثم أطفالهم، والغرض من الزواج ليس التناسل وحسب، وإنما رعاية الأبناء وتوفي: جميع احتياجاتهم، وحيث إن الزوج والزوجة كيانان مختلفان فحتماً تنشأ بينهما خلافات عديدة، لذا يكون من الضروري وجود رأي أخير أو كلمة عليا للبت في الأمور، ومثل هذه المهام تقع ضمن اختصاصات الحكومة السياسية.

وحيث إننا اتفقنا على أن كل مرء يولد، وهو حر متمتعاً بجميع حقوق القوانين الطبيعة وامتيازاتها، متساوياً مع غيره من الأفراد، ولديه القوة النسبية التي تكفل له الدفاع عن حقه وممتلكاته ومصيره ضد من تسول له نفسه الاعتداء عليه، بل وله الحق في تنفيذ أحكام هذا القانون بتوقيع العقوبة التي يستحقها المذنبون، وحيث إنه لا يمكن لأي مجتمع سياسي أن يقوم إلا إذا كانت لديه القدرة على المحافظة على الملكيات ومعاقبة المعتدين عليها، فهذا هو وحده دعامة المجتمع السياسي، حيث يتنازل كل عضو فيه عن حقوقه الطبيعية ليضعها بين يدي الجماعة، فتتولى هي حمايتها عن طريق القانون الذي تصوغه شاملاً ووافياً لحاجة الجميع "[82]، وهنا نتصور أن موقف التنازل تَنازَلَ **waiver** الذي هو (فعل) تنازلَ عن يتنازل، تنازُلاً، فهو مُتنازِل، والمفعول مُتنازَل عنه. تَنَازَلَ عَنْ حَقِّهِ: تَخَلَّى

[82] إلهام الحدابي " قراءة في كتاب الحكومة المدنية؛ جون لوك" الشبكة العنكبوتية

عَنْهُ، تَرَكَهُ تَنَازَلَ عَنْ شِكَايَتِهِ: تَخَلَّى عَنْها ومعنى تنازل عن الشّيء في قاموس المعجم الوسيط تركه وتخلّى عنه، ليتسلّمه غيرُه تنازل عن وظيفته/ رئاسة الحزب/ العرش-تنازلت عن حقِّها في الميراث لأخيها، يختلف عن مفهوم الرضا أو التراضي من قبل جون لوك لأنه قد يتم بناء على ضغوطات أو مصالح لا تعني في ذاتها الرضا مثل فرضية الأمر الواقع أو الغلبة بالسلطان إلى آخره.

والتراضي عند (جون لوك **John Locke 163201704**م) يقوم على مسلمة مفادها" الناس جميعاً عاملون في هذا الكون الذي صنعه الخالق، وأتى بهم إلى خضمه، لأنه شاء ذلك، أتى بهم لكي يعملوا من أجله، فهو ما لكهم الذي يوجههم كيفما يشاء، رائدهم فيما يفعلون ابتغاء مرضاته"[83] وفي قيمة القانون وفكرة صياغته فإننا نشير إلى أن فكرة الصياغة بمعنى الكتابة تُعدّ مرحلة متطورة مع القانون تقول المراجع السياسية " لم يكن القانون الجرماني في أول أمره مكتوباً، بل كان مجموعة عادات وتقاليد يتناقلها الناس ويرعونها وأنها تشكل ينبوع الحكمة التي تستمد منه القبيلة أمنها وسلامها.

[83] جون لوك" الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو" ترجمة، محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ص: 15 .

وخلاصة الكلام أن القانون كان يعد ملكاً للجميع، يخضع لسلطانه كل فرد من القبيلة التي يسيطر عليها القانون، كما كان ينتمي إلى كل فرد من أفراد القبيلة بفضل عضويته فيها، وكانت نظرتهم هذه إلى القانون أمراً طبيعيّاً، إذ إنهم كانوا حديثي العهد بحياة الاستقرار، ولم يكونوا قد نسوا بعدُ حياة البداوة، وكان اهتمامهم بالزراعة قليلاً نسبيّاً"[84].

ويُعد موضوع فلسفة السياسة من أهم الموضوعات القادرة على تحمل التحليل والحديث في مسألة الرضا، ونجد ذلك في صلب فلسفة أفلاطون **Plato** وكذلك في فلسفة ميكيافيلي **Niccolo Machiavelli** وغيرهم، ومن أهم الأفكار هنا فكرة الفيلسوف الحاكم. وقد وصف أفلاطون هذا النوع من الحكم بالقول :"هذا الحكم هو أسلم صور الحكم، وهو وحده الحكم الحقيقي، حيث نجد الحكام متمكنين من العلم حقاً، وليست عليهم سيماؤه فقط، وسواء في ذلك أحكموا بالقانون أم بغير قانون، وسواء رضى رعاياهم أم لم يرضوا "[85] إنها فكرة الفيلسوف الحاكم التي تعد على أن ظهور مفهوم الرضا يمكن القول أنه ضارب في القدم، وإن جل البحاث استندوا في ذلك على تصميم الفيلسوف أفلاطون على أهمية أن تقود المجتمع فئة من النابهين، رآهم في الفلاسفة فضلا عن التأكيد على أن النخب كانت

[84] جورج سباين " تطور الفكر الفلسفي" ترجمة، حسن العروسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الجزء الثاني ص: 291 .
[85] جورج سباين " تطور الفكر السياسي" ترجمة، حسن جلال العروسي، القاهرة، مصر، الكتاب الأول، ص: 90.

موجودة في المجتمعات كافة فهناك الكهنة المصريون الذين كانوا يمثلون صفوة المجتمع، وانتهى أفلاطون: **Plato 427** ق.م – **347** ق.م في محاورة الجمهورية• التي وصفها بعض البحاث بالقول "ستظل الجمهورية إلى الأبد صوت كل دارس، وقبلة كل مفكر، يرى في المعرفة والاستنارة القوى التي يجب أن يستند إليها التقدم الاجتماعي، والواقع من ذا الذي يستطيع أن يتكهن بحدود المعرفة كقوة سياسية ومدى ما تستطيع الجماعة أن تستخدمه في حل مشاكلها حين تسخر قوة العقل المدرب تدريباً علميّاً تسخيراً كاملاً"[86]، الأمر الذي إلى قاده إلى استبعاد القانون هو اعتقاده بأن الفيلسوف الحاكم لا ينبغي أن يخضع لقانون، لأنه هو الذي يشرع القانون وإن ثمة ضرورة لوجوده، قد يكون الآخرون في حاجة إلى قانون، أما الفيلسوف الحاكم فلأنه أحكم الناس وأعلم بمصلحتهم منهم، لهذا لا ينبغي لنا أن نكبل الحاكم بأي قوانين، هنا نجد أن النخبة **Elite** كلها تمحورت في فكرة الفيلسوف الحاكم، وهنا يبزغ سؤال منطقي مهم، هو: ما الأسس التي اعتمد عليها أفلاطون في هذا الرأي؟ فالفيلسوف يُعظِّم الحكمة كمصدر أعظم لذَّة، ورب الجهود يُمَجِّد الشرف، ومُحب الربح يطري الثروة، فأيُّ هؤلاء الثلاثة على هُدى؟ أيُّهم يحكم أعدل حُكم؟ واضح أنه

[86] جورج سباين " تطور الفكر السياسي" ترجمة، حسن جلال العروسي، القاهرة، مصر، الكتاب الأول، ص: 79 .

الفيلسوف؛ لا لأنه وحده مُختبر أنواع اللذات الثلاثة فقط، بل لأن العضو الذي يصدر الأحكام مُختصٌّ به.

فنستنتج أن لذائذ الحكمة لها المنزلة الأولى، ولذائذ المجد المنزلة الثانية، وللثروة الثالثة، فقد وجدنا أن الحكمة والفضيلة والسعادة أمور متلازمة لا تفترق، وأيضًا: مَن يستطيع أن يقول ما اللذة بالتحقيق؟ مَن غيرُ الفيلسوف يعرف كنهها؟ وهو وحده خبير بالحقائق، فنحن على حقٍّ إذا قُلنا: إن اللذة الحقيقية تحصل حين تحسن النفس توقيع اللحن بإدارة مُحب الحكمة، أو المبدأ العقلي، فكلما كانت الرغبة (الشهوة) أعقل، كانت سعادتها أوفى، فما كان أكثر نظامًا وشرعًا كان أكثر عقلًا، ورغبات الأرستقراطي هي الأكثر نظامًا وشرعًا، فسدُّها أكثر إسعادًا"[87] ويستمر السؤال المنطقي في المتابعة قائلاً: ما سمات هذا الإنسان الفيلسوف؟ يحدد أفلاطون عدة سمات منها:

1-الاستنارة العقلية. الحكومة المستنيرة بالعقل لا يمكن أن تكون حكومة القلة، وحسب تصور أفلاطون في الجمهورية هذه الاستنارة تتحقق في حكم الفيلسوف.

[87] أفلاطون " الجمهورية" مرجع سبق ذكره ص: 296.

2-"الذي ينحصر سنده لتولي السلطة في كونه الوحيد الذي يعرف ما هو خير للناس وللدولة"[88]

3-السياسي عند أفلاطون " فنان أكبر مؤهلاته المعرفة، وقد شبه الراعي الذي يسوس قطيعاً من البشر ويدبر أمره، أو هو بالأحرى رب الأسرة الذي يدبر شؤونها جميعاً "[89]، ولكن أفلاطون تراجع عن هذه الفكرة في محاورتي القوانين والسياسي، لتصوره أن الشخصية اليونانية بطبيعتها ترفض القيد والعبودية، وبذلك تعبر الروح اليونانية عن حريتها كل التعبير، لا في طاعة الحاكم، بل في طاعة القانون **L aw** ،لآن القانون سيكون هو الحكم بين الناس بعضهم وبعض، وبينهم وبين الحاكم." ومن ناحية أخرى فمن المقطوع به كذلك أن أفلاطون لم يسلم قط تسليماً نهائياً بأن النظرية التي ذهب إليها في الجمهورية، نظرية خاطئة، وأنها حقيقة بأن تهجر"[90].

وفي تطوره الفكري غير أفلاطون فكرة النخبة من الحاكم المطلق إلى القانون الذي يكون هو النخبة، وهو الذي يجب التعويل عليه، وهنا قد يكون تصور أفلاطون أكثر تعبيراً عن فكرة الرضا من خلال تصوره لفكرة الاستبداد في شخص الطاغية **Tyrant**، وهو بهذا يختلف في التحليل السياسي عن تلميذه أرسطو. والمستبد عند أفلاطون هو " المستبد،

[88] سباين المرجع السابق الكتاب الأول ص: 83 .
[89] سباين الكتاب الأول ص: 89 .
[90] سباين الكتاب الأول ص: 85 .

وهو ابن حقيقي للديموقراطي: رجل تسوده شهوة واحدة، تسعى تدريجيًّا لحماية كل الشهوات الأخرى وسد أشواقها، وهو مملوء بالأشواق ميَّال أبدًا لسدِّها بتضحية كل رباط طبيعي، وهو متمرد متعدٍّ نجيس، هذا هو مُستبد دولة الاستبداد المستقبل"[91] ويرى بعض البحاث أن أفلاطون استخدم مفهوم الطاغية **Tyrant**، وليس مفهوم المستبد. كلمة (المستبد) (**Despot**) مشتقة من الكلمة اليونانية ديسبوس (**Despots**) التي تعني رب الأسرة، أما أفلاطون فمع كونه أستاذ أرسطو فإن مناقشته للمستبد كانت تحت مفهوم الطاغية.

(الطاغية لغة تعني طاغية: (اسم) الجمع : طُغَاة و طَوَاغٍ، الطاغيَةُ : شديد الظُّلم، متكبِّر عاتٍ، جبَّار، عنيد، يأكل حقوق الناس ويقهرهم. وليس المستبد الذي ناقشه تلميذه أرسطو، فيستولي الطاغية بحسب وجهة نظر أفلاطون على السلطة عنوة، ويسعى إلى التخلص من خصومه بعد استيلائه عليها، لكنه يبدأ بكسب شعبية الناس، ويوزع الأراضي، ويشن الحروب، لكي يبقى الشعب بحاجة إليه، وهي وسيلة احتقار الناس، ومن مصلحة الطاغية استمرار الحروب. ويلاحق الطاغية جميع الناس الذين يمتازون بالشجاعة وكبر النفس والحكمة والثروة، لأنهم يشكلون خطراً عليه، يحيط به جماعة مستعبدة تتقاضى أجوراً عالية لكي، تحميه وتمتدحه؛ لذا فهو

[91] أفلاطون " الجمهورية" ترجمة، حنا خباز، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، القاهرة، مصر، 2017م، ص: 295 .

يعيش على حساب الناس الذين يرزحون تحت أسوأ العبوديات، وهؤلاء انتقلوا من الحرية إلى العبودية، أي: من الديمقراطية إلى الطغيان، أما أوصاف الطاغية عند أفلاطون فهي: كائن حيواني ينشغل بالملذات المتقلبة، نقيض الروح الخالدة، هو من أتعس العالمين ومدينته مدينة شقية، العلاقة بين الحاكم والمحكومين هي علاقة السيد بالعبد، ويرتب أفلاطون أنظمة الحكم الذي ينتهي بأسوأ النظم وهو "الطغيان: الأرستقراطي (**Aristocracy**) أفضل أنواع الحكم، وهو حكم القلة الفاضلة ويتجه نحو الخير مباشرة ومن ثم فهو نظام الحكم العادل. الحكم التيمقراطي (**Timocracy**) وهو الحكم الذي يسوده طابع الطموح من محبي الشرف أو الطامحين إلى المجد الذين تكون وجهتهم السمو والتفوق والغلبة.

الحكم الأوليغاركي (**Oligarchy**) هي حكومة القلة الغنية، حيث تكون للثروة مكانة رفيعة. الديمقراطية (**Democracy**) هي حكم الشعب، حيث تقدر الحرية تقديراً عالياً، حكومة الطغيان (**Tyranny**)، هي حكومة الفرد الظالم أو الحاكم الجائر، حيث يسود الظلم الكامل بغير خجل، وعند أفلاطون النظامان اللذان يمثلان الشطط في السياسة:

(ملكية فارس وديمقراطية أثينا): الأول: الإفراط في السلطة، والثاني: الغلو في الحرية"[92].

وبعد هذا التحديد لأنواع الحكم عند أفلاطون يبقى السؤال المهم ما موقف أفلاطون من القانون داخل الدولة؟ يجيب عن هذا السؤال (جورج سباين) بالقول: " لقد كرر القول بأن هدفه من القوانين هو أن يصف الدولة التالية في المرتبة للدولة المثلى، كما يربط أحياناً بين هذا القول وأقوى ما سطره عن أهمية القانون، فالناس من دون القوانين لا يختلفون البتَّة عن أشد الحيوانات وحشية،كما قال، ومع ذلك إذا ظهر حاكم كفء انتفت الحاجة إلى حكم القوانين: إذ ليس ثمة قانون ولا شرعية أعظم من المعرفة شأناً "[93]، يبدو من هذه النصوص وجود خلط في تصور أفلاطون الأمر الذي يدعو لذكر بعض الملاحظات أهمها:

1-في تأكيده على عدم ضرورة القانون والتعويل يكون مبنياً أو قائماً على معرفة الفيلسوف، كان ذلك التصور في الدولة المثالية الأولى، وهي دولة الجمهورية، وهنا نلاحظ الرضا على صورة دولة رسمها أفلاطون قياساً بفيلسوفٍ متمكن لا يحتاج إلى مرشد، وهو القانون.

[92] عبد الجليل كاظم الوالي" قراءات جديدة في قضايا فلسفية" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2010م،ص: 163.
[93] سباين الكتاب الأول ص: 85 .

2-العودة إلى القانون جاء بعد تجارب ومدةٌ زمنية خلخلت الرضا السابق، لأن المقارنة كانت بالدولة الواقعية واقتناع الفيلسوف أن طبيعة شعبه لا تقبل تجبراً وربما جهل الفيلسوف الحاكم في بعض المواقف.

3-" جاء إسقاط القانون من حساب الدولة المثالية نتيجة لتلك الحقيقة المزدوجة، وهي أن مهنة الحكم قد عرفت بأنها فن يعتمد على العلم الصحيح، وأن هذا العلم يفهم على غرار الرياضيات كإدراك عقلي من النوع الذي لا تزيده المعرفة الواقعية المحسوسة شيئاً، أو في القليل لا تزيده تلك المعرفة شيئاً أكثر من مجرد التوضيح"[94]، ومع تحليل أفلاطون هذا للطغيان فإن فكرة أرسطو عن المستبد ظلت تسيطر على أغلب المفكرين الأوروبيين.

وهنا وجب أن نشير إلى فارق مهم في البناء الفكري بين (أفلاطون) و(أرسطو)، حيث بدأ أفلاطون بفكرة الفيلسوف الحاكم، وانتهى إلى فكرة القانون، ولكن أرسطو بدأ من أول تفكيره في الجمهورية بفكرة القانون ووجود الرضا بين سكانها بفكرة القانون:" إذ استطاع أن يقيم فلسفته على ضرورة وجود قانون أعلى أو دستور، يتم تسيير الجماعة على أساسه. ويرى أن الدستور يمثل الفكرة العاقلة في أي مجتمع، ومن ثم فلابد أن تكون السيادة للقانون، وليس للحاكم، فالحاكم ليس مجرداً عن

[94] سباين الكتاب الأول ص: 87 .

الهوى، والانحراف، في حين القانون هو الحقيقة الوحيدة عن ذلك "[95]. ويمكن أن نقدم فكرة الرضا الفلسفي من خلال علاقة التلميذ أرسطو بالأستاذ أفلاطون، أو في علاقة فيلسوف سابق بفيلسوف لاحق التي تدعو إلى ممارسة الابتكار والإضافة والخروج عن السابق من ناحية أولى، وإلى الوفاء والالتزام والإيمان باستمرارية وتواصل القيم الفلسفية من ناحية ثانية " خالف فيلسوف الأرض أرسطو فيلسوف السماء أفلاطون- بحسب الرسام (رافيال) في لوحته الشهيرة- بمنح الرأي والخطابة والشعر والمجاز منزلة في الشغل المعرفي الذي يؤديه الفكر الفلسفي، ومن المعلوم أن أفلاطون جعل الفلسفة في قطيعة جذرية مع الرأي ويعدّ محب الرأي فيلسوفاً مضاداً، والآية على ذلك أن الرأي هو مجرد عتمة يجب على النفس حبه من أجل الشروع في التأمل والتفكر، وعَدَّ السفسطائيون شياطين ومهرجين، لزعمهم امتلاك الحكمة واستعمالهم اللغة للخداع والهيمنة.

إذا كان أفلاطون قد أجاز اعتماد التفكير الفلسفي على جل الأساطير من أجل بلورة الأفكار وتوضيح المفاهيم ، فإن أرسطو ابتعد عن ذلك وعَوّلَ على تجميع ملاحظات عن الحياة المشتركة واللغة الجارية. علاوة على أن أرسطو تفلسف بشكل مغاير حيث عدّ الأفكار المشتركة وألفاظ اللغة المتداولة نقاط انطلاق نافعة من أجل بناء معرفة يقينية بالكون، واتخذها

[95] أ م.د. مرتضى شنشول ساهي " النظم السياسية في الفكر السياسي عند ارسطو " المجلة السياسية والدولية، ص: 197.

أصلاً ومصدراً لكل حكم عقلي على العالم"[96]. وفي سياق الرضا وعدمه بين أفلاطون وأرسطو نشير إلى تصور أفلاطون لفكرة رفضه للشعر ولدعوة أرسطو للمسرح" في سبيل أن نصل إلى فهم أحسن لموقف أفلاطون من الشعر، ليس من النافل أن نتذكر بأن موقفه ذاك كان احتجاجاً على موقف معاصريه الذين كانوا يتطلبَّون أشياء كثيرة جداً من هوميروس. كذلك نرى من الضرورة أن نتذكر بأن آراء أرسطو حول المسرح إنما كانت تهدف إلى إعادة الاعتبار للمسرح بوصفه العامل الذي يوفِّر لمجتمع المدينة إشباع حاجاته النفسية والعاطفية"[97] وفي خلافه مع فلاسفة آخرين نذكر الآتي" إذا كان (أنكساغور) قد رأى بأن الإنسان يفكر، لأنه يمتلك يَدَيّن فإن أرسطو قد تصور العكس، وقد أقر بأن الإنسان يحوز على يَدَينّ؛ لأنه يفكر، ومن هنا لا يكتفي بابتكار جملة من الأدوات والوسائل، وإنما يتبع سلم تراتبي من الغايات، ويحول غايات نسبية إلى وسائل بغية، بلوغ غايات أسمى وأهداف مطلقة، بطبيعة الحال ترتب عن ذلك تغيير في نظرة الفلسفة إلى وجود الله، فإذا كان ما قبل السقراطيين يؤمنون بتعدد الآلهة على غرار (ديونوزوس وأبولون وزوس)، ويدرجوها ضمن تصورات أسطورية فإن أرسطو في كتاب الميتافيزيقا يتحدث عن الله في المفرد لا في الجمع ويعرفه وفق ثلاثة صيغ ملغزة: (محرك أول يحرك بقية الكائنات وهو لا يتحرك،

[96] د زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

[97] إتيان سُوريُو" الجمالية عبر العصور" مرجع سلق ذكره، ص: 10.

العقل الذي يعقل ذاته، الحركة الخالصة) بهذا المعنى تم نفي الطابع المشخص للألوهية الذي كان موجوداً في معظم التصورات الإغريقية الخرافية، ولم يعد الله شخصاً، ولا يملك أي خاصية أخلاقية، ولم تعد له قدرة خلاقة للكون، وبقي له دور تنظيمي، لقد أبقى أرسطو لله وظيفة (كوسمولوجية) بحيث يمثل الضرورة الفكرية وأساس السببية الطبيعية وأصل حركة الأشياء والعلة الأولى ومصدر التناغم والانسجام والنظام في الكون والمعشوق الأول للكائنات"[98].

وبالنظر في تصور آخر لفكرة الحاكم سنجد فرقاً بين أفلاطون وميكيافيلي **Niccolo Machiavelli** بخصوص القانون عند أفلاطون (النخبة)، وتصرفات الحاكم عند ميكيافيلي (فيلسوف إيطالي سياسي نيكولا مكيافلي **1469**م - **1527** م أُشتهر بعبارة " الغاية تبرر الوسيلة") في كتابه الأمير**Prince** تحدث عن أهم صفات الأمير الحاكم في نظره ورأى أن على الأمير المثالي أن يوجد الدولة، ويحافظ عليها في شتى الوسائل، لاغياً الاعتبارات الاخلاقية والدينية، ذاهباً إلى أن مفهوم الدين يجب أن يكون في خدمة السياسة، فهو "أداة ملكية"، ويجب أن تستغلها الدولة لأغراض سياسية بحتة واعتبارية، ويفرضها الأمير **Prince** للحصول على موافقة الشعب العامة، واعتمد في نصائحه المعطاة، للحاكم على التاريخ

[98] د زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

الذي كان مرجعه بكل الحوادث التي ذكرها، وفكرته الأساسية المتكررة تقريباً في كل أبواب الكتاب " أفعال البشر تؤدي إلى نفس النتائج دوماً " ويرى أن البشر عموماً متقلبون، منافقون، جشعون للربح.

كذلك رأى أن الحاكم الحكيم ينبغي أن لا يحافظ على الإيمان عندما يكون ذلك ضد مصلحته، ويقول ميكيافيلي: جميع الأمراء يريدون الظهور بمظهر الرحمة، لا القسوة، ولكن عليه التأكد ألا يسيء استخدام هذه الرحمة، لا ينبغي على الأمير التردد في اظهار القسوة للإبقاء على رعاياه متحدين؛ لانه بقسوته هذه هو أكثر رحمة من أولئك الذين يسمحون بظهور الفوضى بسبب لينهم، ولكن عليه أن يكون حذرًا، لن يستطيع تجنب سمعة القسوة، فجميع الدول الجديدة محاطة بالمخاطر، لكن بإمكانه المضي قدمًا بكثير من الحكمة والإنسانية، فالثقة المفرطة ستكسبه سمعة المغفل، وعدم الثقة ستظهره بمظهرٍ غير متسامحٍ، في هذه العبارة يظهر بوضوح مبدأ الوسط الذهبي أحد رموز المفاهيم الفلسفية، من هنا يأتي السؤال، هل من الأفضل أن تكون مهابًا أو محبوبًا؟ وفي نطاق المقارنة بين الفلاسفة في الأفكار مثل: فكرة القانون، والحكم، والرضا، والمثالية. ودلالاتها فيما بينهم على معنى معين عند كل واحد منهم لمفهوم واحد نشير بشكل موجز إلى مقارنة بين أفلاطون وكانط في فكرة المثالية **Idealism** " تشير المراجع الفلسفية أن للمثالية اتجاهين أو مذهبين **Two**

doctrines: " المذهب الأول: قديم، هوالمذهب الأفلاطوني الذي انبعث من أبي الفلسفة القديمة سقراط **Socrates** ، وثبتت دعائمه على يديّ تلميذه أفلاطون، يرى هذا المذهب أن الأفكار والمعقولات أو المثل موجودة وجوداً هو أسمى من الوجود المحسوس، لأنها هي المبادي النموذجية الأصلية للأشياء.

والمذهب الثاني: مذهب حديث هو المذهب الكانطي يرى هذا المذهب أن الأشياء أو الموضوعات ليست سوى انطباعات حسية أو أفكار لا يمكن أن تتحقق في الوجود إلا على نحو ما، أي بوصفها تمثلات ذهنية، والأشياء ليست موجودة بذاتها وجوداً مستقلاً عن القوة الناطقة، أي: القوة المتعقلة التي تدركها، بل إن وجودها مستفاد من هذه القوة ذاتها، المثالية الأفلاطونية مثالية مطلقة تتجه إلى ما هو بذاته؛ لأنها ترى في الفكرة أو المثال موجوداً متميزاً متعالياً هو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الموجود المطلق ذاته. أما المثالية الكانطية فهي مثالية نسبية، تنظر إلى العالم كما هو عندنا فهي مثالية تَقدُّ العالم على قَدّ الإنسان إن صح القول"[99]، ومع هذا التباين فإن فكرة المثالية لا تزال محلاً للدراسة والتحليل، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى الحيوية التي تتمتع بها، ومع أصالة رؤى أفلاطون فإنها تعرضت لبعض الانتقادات، لعل أشهرها:

[99] عثمان أمين **"**روّاد المثالية في الفلسفة الغربية**"** الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1975م، ص: 8 .

1-يقول سباين " إن مجرد البحث في مزايا وعيوب القانون في الحكومات إنما يكشف عما خامر أفلاطون من تشكك في إمكان تطبيق النتائج التي سبق أن وصل إليها في الجمهورية، نستخلص من ذلك أن معتقدات أفلاطون لم تتحول قط تحولاً مفاجئاً، وأنه كان يحس خلال سنوات عديدة أن من الصعوبة بمكان إسقاط القانون من الدولة المثالية"[100]

2-مع كثرة الأبحاث المتطورة بعد الجمهورية في الدولة فإن أفلاطون ظل مقتنعاً بأنه يجب أن يسود حكم العقل الخالص الذي يمثله الفيلسوف في الدولة المثالية.

3-كانت نظرية أفلاطون السياسية الأولى محدودة الأفق بسبب اعتمادها على مبدأ واحد، هو المعرفة التي يحوزها الفيلسوف الحاكم.

4-القول بضرورة وجود فكرة القانون في الدولة المثالية يوجب على أفلاطون ضرورة تغير هيكل فلسفته كاملة، " تلك الفلسفة التي لم تكن الدولة المثالية إلا جزءاً من أجزائها، فلم يكن إغفال القانون نزوة عابرة، بل كان نتيجة منطقية لفلسفته نفسها "[101] وهذا أمر لم يرده الفيلسوف، ولكنه ترك هاجساً في نفسه لم يمنحه الرضا كما كان يبغي.

---

[100] سباين الكتاب الأول ص :85 .

[101] المرجع نفسه، الكتاب الأول ص: 81.

الفصل الثالث:

"الرضا في الجانب الديني"

Satisfaction on the religious side

لا شك في وجود علماء ومفكرين في مجال كل الشرائع، ومنها الدين الإسلامي، اهتموا بمسألة الرضا، كما اهتم بها الفلاسفة من قبلهم، ونجد ذلك واضحاً في الشريعة الإسلامية، ومن بين هؤلاء الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطّلِبيّ القرشيّ: (150هـ - 204 / 767-820م) وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو القائل:

تَموتُ الأُسدُ في الغاباتِ جوعاً وَلَحمُ الضَأنِ تَأكُلُهُ الكِلابُ

وَعَبـدٌ قَد يَنامُ عَلى حَـريـــرٍ وَذو نَسَبٍ مَفارِشُهُ التُرابُ

تعبيراً عن حال الأمة وكيفية تعامل الحكام مع شعوبها وطريقة معاملتهم. وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً، فعُرف بالعدل والذكاء، إضافةً إلى إحاطته بجميع العلوم الدينية، كان الشافعي فصيحاً شاعراً، ورامياً ماهراً، ورحّالاً مسافراً. أكثرَ العلماءُ من الثناء عليه، حتى قال فيه الإمام أحمد: " كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس،" وقيل: إنه هو إمامُ قريش الذي ذكره النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "عالم قريش يملأ الأرض علماً "

قال رحمه الله عن الرضا شعراً:

وَعَينُ الرضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساويا

وَلَستُ بِهَيّابٍ لِمَن لا يَهابُني وَلَستُ أَرى لِلمَرءِ ما لا يَــرى لِيا

فَإِن تَدنُ مِنّي تَدنُ مِنكَ مَوَدَّتي وَإِن تَنأَ عَنّي تَلقَني عَنكَ نائِيــا

كِلانا غَنيٌّ عَن أَخيهِ حَياتَهُ وَنَحنُ إِذا مِتنا أَشَــدُّ تَغانِيــا

ويُعدّ من نافلة القول: أن كل الشرائع جاءت لرفض الواقع الذي يعيشه الإنسان، وعدم الرضا به، والعمل على إيجاد الرضا وفق شروط معينة وقواعد محددة، لن يوجد من دونها، ألم تعلم أيها الباحث ودارس الأديان أن الإسلام أصلاً جاء ثورة على الواقع، الذي من أبشع صوره قتل البنات، والتعامل بالربا. والرضا بالواقع مرفوض فيه يدلل على ذلك قوله تعالى" وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ "سورة القلم، الآية: (8)،" قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون، وقال مجاهد: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ تركن إلى آلهتهم،وتترك ما أنت عليه من الحق"[102]"أي: تتنازل شيئاً ويتنازلون شيئاً فتلتقون في المنتصف، ويكون هذا الدين الجديد وفق مقتضيات الواقع، وديناً وسطياً جميلاً يُرضي جميع الأطراف. والسنة نفسها في الديانة المسيحية التي سبقت

[102] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء، 7، ص:344.

القرآن الكريم في النزول إلى البشر." جاءت المسيحية لبني إسرائيل، لتصحح أوضاعاً شاذة عندهم، فقد تكالب اليهود مثلاً على المال، وحاولوا جمعه بمختلف الطرق، فجاءت المسيحية تدعو للزهد لتكسر حدة هذا الجشع، وكان التحدي والانتقام طابع العلاقة بين طوائف اليهود الكهنة والفرِّسيين والقراء وغيرهم، فجاءت المسيحية تقول بالتسامح"[103].فالرضا بالواقع ليس من جوهر فلسفة الرضا مهما قدمت من مبررات، لأن للرضا شروطاً إذا لم تتحقق فلا وجود له. ومن أوضح الأمثلة على ذلك الاستشهاد بتاريخ الشرائع، لِمَ لم يرضَ سيدنا موسى عليه السلام بفرعون وقد اعترفت به مؤسسات الدولة المصرية، ودانت له بالولاء وبالرغم من امتلاك فرعون كل أدوات القوة واعتراف العالم به وتعامله معه؛ لأنه يخالف الشرط الجوهري للرضا في هذا المقام، وهو تمام العبادة لله، وليس له كرب يعبد على الأرض، كذلك لِمَ لمْ يرضَ سيدنا لوطٌ عليه السلام ومعه الأطهار بالواقع ويتعايشوا معه، ولم يكن مطلوباً منهم إلا أن يكفوا عن دعوة الناس إلى الطهر فقط مقابل ألا يتم نفيهم.

من كل الإشارات السابقة يمكن استخلاص أن كل الرسل والأنبياء ابتعثهم الله لتغيير الواقع الظالم المظلم، ودعوة الناس لرفضه، وعدم الرضا به، وهنا يقدم سؤال مهم هو: هل الرضا يكون من العبد فقط أم أن الله له رضا؟

[103] أحمد شلبي" مقارنة الأديان" المسيحية 2" الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1990م، ص: 264 .

في هذه المسألة سنعرض الرضا بين الله واليهود كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، العهد بين الله والبشر الذي يتم الرضا به يتضمن القيام بعديد المطالب من البشر، منها: الطاعة، والتصديق، واجتناب، ما نهى عنه، والخشية من الله وحده، أي: الخوف منه دون الخوف من غيره، وهذا يعني امتلاء قلب الإنسان بخشية الله، وهذا الأمر يعين على الطاعة، ويبعد عن المعصية، ويُعدّ العهد الذي أشار إليه القرآن الكريم بين الله وبني إسرائيل أفضل نموذج يصور الرضا بين يقول البشر والله سبحانه وتعالى؛ لأن الوفاء به شرط جوهري لوجود الرضا قال تعالى في القرآن الكريم "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون" سورة البقرة، الآية:(**41**)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة" يقول تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمّد عليه من الله أفضل الصلاة، يا بني العبد الصالح المطيع لله؛ كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق"[104] أما قضية التزام اليهود بالعهود فتلك قصة أخرى.

وفي الحديث عن هذا العهد نذكر تصوراً معيناً "العهد ما من شأنه أن يُرَاعَي ويحفظ كاليمين والوصية وغيرهما، ويضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعاً، يقال: أوفيت بعهدي، أي: بما عاهدت غيري عليه، وعهد الله: أوامره ونواهيه، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ويندرج

[104] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" تحقيق، أبو إسحاق الحوين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الجزء الأول، 1431 هجرية، ص: 364.

فيه كل ما أخذ على بني إسرائيل في التوراة، من اتباع لمحمّد صلى الله عليه وسلم متى بعت، والإيمان بما جاء به من عند الله، وتصديقه فيما يخبر به، والمعنى للنص الكريم: وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي، والطاعة لي، والتصديق برسلي، أوف لكم بما عاهدتكم عليه من التمكين في الأرض الدنيا، والسعادة في الآخرة"[105] فالآيات الكريمة تضمنت وعْداً ووعيداً، ثم أمر جل شأنه اليهود بأن يوفوا بعهد خاص، وهو القرآن الكريم قال تعالى "وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ" (41) وفي التعبير عنه بذلك تعظيمٌ لشأنه، وتفخيمٌ لأمره، وافرُد. سبحانه أمرهم بأن يؤمنوا به مع اندراجه في قوله (وأوفوا بعهدي)، للإشارة إلى أن الوفاء بالعهد لا يحصل منهم إلا إذا صدقوا به، والمراد بما معهم التوراة، والتعبير عنها بذلك للأشعار بعلمهم بتصديقه لها. قال صلى الله عليه وسلم " لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي"[106]، قال الإمام الرازي: وهذه الجملة الكريمة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين: أولها: أن الكتب السابقة قد بشرت به، وشهادتها لا تكون إلا حقاً.

[105] محمّد سيد طنطاوي" تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم" الشبكة العنكبوتية.
[106] رواه الامام أحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما. "رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان، وهو حديث حسن" موقع إسلام ويب، الفتوى. رقم 32293 ، بتاريخ: 203/5/20م.

وثانيهما: أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم عما في كتبهم دون معرفة سابقة لها، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوحي"[107] ونضيف هذه المحاولة للإجابة عن هذا السؤال تحت العنوان التالي: ما الغضب والرضا الإلهي **What is anger and divine contentment**؟ هناك مجموعة من الصفات التي تطلق على الله، وعلى الإنسان أيضاً من قبيل الرضا "رضي الله عنهم" حيث استعملت كثيراً في حق بعض الناس، كقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم " قالَ اللَّهُ هذا يوْمُ ينْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً رَضِى اللَّهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْه"سورة المائده، الآية:(**119**).

في تفسير هذه الآية الكريمة" يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى ابن مريم رضى الله عنه، فيما أنهاه إليه من التبري من النصارى الملحدين الكاذبين على الله ورسوله، ومن ردّ المشيئة فيهم إلى ربه رضى الله عنه، فعند ذلك. يقول تعالى هذا يوْمُ ينْفَعُ الصَّادِقِينَ. قال الضحاك عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم"[108] أوما ورد في حق المؤمنين بالله تعالى ورسوله في الآية المباركة في قوله تعالى: "وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْري تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيم"

[107] محمّد سيد طنطاوي" بنو إسرائيل في القرآن والسنة" مرجع سبق ذكره ص: 433 .
[108] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء، 3، ص: 517.

"سورة التوبة، الآية:(**100**)، هذا خبر" يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم، قال الشعبي: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية، وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمّد بن سيرين والحسن وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم "[109] وهكذا صفة الغضب حيث جاء في الآية المباركة قوله تعالى "وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً"سورة النساء، الآية:(**93**)، في هذا النص الكريم " تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله. في الصحيحين عن ابن مسعود، قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"[110] وغير ذلك من الصفات التي ذكرت في المصادر الروائية والتفسيرية والكلامية،

وقد قسم المتكلمون صفاته سبحانه "إلى صفة الذات، وصفة الفعل، فالأَول ما يكفي في وصف الذات به، فرض الذات نفسها فحسب، كالقدرة، والحياة، والعلم، والثاني ما يتوقف توصيف الذات به على فرض ألغير وراء

---

[109] ابن كثير **"** تفسير القرآن العظيم**"** مرجع سبق ذكره، الجزء، 4، ص**:** 339.

[110] أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري**"** صحيح مسلم**"** تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، كتاب القسامة، 1991م، ص**:** 1305.

الذات، وهو فعله سبحانه. فصفات الفعل هي المنتزعة من مقام الفعل، بمعنى أنَّ الذات توصف بهذه الصفات عند ملاحظتها مع الفعل، وذلك كالخلق والرزق ونظائرهما من الصفات الفعلية الزائدة على الذات بحكم انتزاعها من مقام الفعل، ومعنى انتزاعها، أَنَّنا إِذْ نلاحظ النّعم التي يتنعم بها الناس، وننسبها إلى اللَّه سبحانه، نسميها رزقاً رزقه اللَّه سبحانه، فهو رزّاق، ومثل ذلك الرحمة، والمغفرة فهما يطلقان عليه على الوجه الذي بيّناه. وهناك تعريف آخر لتمييز صفات الذّات عن الفعل، وهو أَنَّ كل ما يجري على الذات على نَسَق واحد (الإثبات دائماً) فهو من صفات الذات، وأَمَّا ما يجري على الذات على الوجهين، بالسلب تارة وبالإِيجاب أُخرى، فهو من صفات الأَفعال. وعلى ضوء هذا الفرق فالعلم والقدرة والحياة لا تحمل عليه سبحانه، إِلا على وجه واحد هو الإِيجاب، ولكن الخلق والرزق والمغفرة والرحمة تحمل عليه بالإِيجاب تارة والسلب أُخرى، فتقول خَلَقَ هذا، ولم يخلق ذلك، غفر للمستغفر، ولم يغفر للمصرّ على الذنب"[111] ومع ملاحظة كون الرضا والغضب وغيرها من الصفات عارضة على الإنسان وأنّ الإنسان قَبلّ الغضب غير الإنسان بعده، وهكذا في الرضا، فيكون محلاً للحوادث والتغيرات، وعليه وقع الحديث عن الذات الإلهية، وهل هي محل للحوادث أو منزهة عنها؟

[111] جعفر السبحاني، " الإلهيات" شبكة المعارف الإسلامية، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام. الشبكة العنكبوتية.

"وقد أطبق الإلهيّون ما عدا الكرّاميّة• على أنَّ ذاته تعالى لا تكون محلًا للحوادث، ويستحيل قيام الحوادث بذاته، والدليل على ذلك أنَّه لو قام بذاته شيء من الحوادث واللازم تغيّره، واللازم باطل، فالملزوم مثله. بيان الملازمة: أنَّ التغير عبارة عن الانتقال من حالة إلى أُخرى، فعلى تقدير حدوث ذلك الأمر القائم بذاته، يحصل في ذاته شيء لم يكن من قبل، فيحصل الانتقال من حالة إلى أُخرى، وأمَّا بطلان اللازم فلأن التغيّر مستلزم للانفعال، أي: التأثّر، وإلَّا لما حصل له، و الاستعداد يقتضي أنَّ يكون ذلك الشيء له بالقوة، وذلك من صفات الماديات، واللَّه تعالى منزّه عنها فلا يكون منفعلًا، ولا يكون متغيّراً، ولا يكون محلًا للحوادث. وبعبارة ثانية: أنَّ التغير نتيجة وجود استعداد في المادة الّتي تخرج تحت شرائط خاصة من القوة إلى الفعل. فالبَذْر الّذي يُلقى في الأرض ويقع تحت التراب، حامِلٌ للقوة والاستعداد، ويخرج في ظل شرائط خاصة من تلك الحالة ويصير زرعاً أو شجراً. فلو صحّ على الواجب كونه محلًا للحوادث، لصحّ أن يحمل

• الكرّاميّة هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. والكرامية نسبة إلى مؤسسها وصاحبها الأول محمد بن كرام السجستاني، ويعد قوله في الإيمان أشهر أقواله البدعية، حيث زعمت الكرامية أن الإيمان "هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب، فمن نطق بلسانه ولم يعترف بقلبه فهو مؤمن، وزعموا أن المؤمنين كانوا مؤمنين بالحقيقية". وتأتي أهمية الكرامية في الصدارة الأولى من مدارس علم الكلام، لأن هذه المدرسة لم تسر على النمط التقليدي الذي لجأت إليه المدارس الأخرى من تأويل للنصوص الدينية، بل قامت بتجسيم وتشبيه الذات الإلهية بغيرها من الموجودات. مثل هذه المدرسة تحتاج للدراسة والتحليل من أجل تبيان ماهيتها ونفعها ومضرتها للجوانب الدينية في الفكر الإسلامي.

وجودُه استعداداً للخروج من القوة إلى الفعلية. وهذا من شؤون الأُمور المادية، وهو سبحانه أجلّ من أن يكون مادة أو مادّياً "[112].

ومن هنا فسّر العلماء تلك المفاهيم والصفات بطريقة تنسجم مع الذات الالهية المنزهة عن المادة والماديات، قال العلامة الطباطبائي•• :1904م – 1981م وقوله تعالى " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ" الرضا منا موافقة النفس لفعل من الأفعال من غير تضاد وتدافع، يقال: رضي بكذا أي: وافقه ولم يمتنع منه، ويتحقق بعدم كراهته إياه، سواء أحبه أو لم يحبه، ولم يكرهه، فرضا العبد عن الله، هو أن لايكره بعض ما يريده الله، ولا يحب بعض ما يبغضه، ولا يتحقق إلا إذا رضي بقضائه تعالى وما يظهر من أفعاله التكوينية، وكذا بحكمه وما أراده منه تشريعاً، وبعبارة أخرى إذا سلّم له في التكوين والتشريع وهو الإسلام والتسليم لله سبحانه.

وأما رضاه تعالى فإنما هو من أوصافه الفعلية دون الذاتية، فإنه تعالى لا يوصف لذاته بما يصير معه معرضا للتغيير والتبدل، كأن يعرضه حال السخط إذا عصاه ثم الرضا إذا تاب إليه، و إنما يرضى ويسخط بمعنى: أنه يعامل عبده معاملة الراضي من إنزال الرحمة وإيتاء النعمة، أو معاملة

---

[112] الالهيات، مرجع سبق ذكره

•• السيد محمد حسين الطباطبائي المعروف بـالعلامة الطباطبائي من أبرز فلاسفة و عرفاء ومفكري الشيعة في القرن العشرين. اشتهر بتفسيره المعروف بالميزان في تفسير القرآن. يوجد عنه أيضا الكتب الفلسفية كبداية الحكمة ونهاية الحكمة وكتابه المعروف أصول الفلسفة والمذهب الواقعي الذي تصدى المطهري لشرحه والتعليق عليه.

الساخط من منع الرحمة وتسليط النقمة و العقوبة"[113] ومما يدل على كونها من صفات الفعل أيضاً: " أن الغضب والرضا مثلاً لو كانا من صفات الذات لكان وجودهما ثابتاً سواء قام العبد بالعمل الصالح أو الطالح بلا أدنى تغير أو تحوّل، والحال أن الله يرضى عن العبد اليوم، ويغضب عليه غداً، والعكس صحيح تبعاً لما يصدر منه من سلوك مرضي أو معيب، و هذا مما يكشف عن كونهما من صفات الفعل، وليسا من صفات الذات"[114].

والخلاصة هنا أن رضا الله وغضبه من صفات الفعل لا الذات. وأن صفات الفعل تنتزع من العلاقة بين الله تعالى وفعله، وهي تعود في الحقيقة إلى المخلوق. رضا الله عن عبده يعني أنّ الله تعالى، وهب عبده نعمة الخلود في ألنعيم في مقابل تسليم العبد وخضوعه وعبوديته له تعالى، و بعبارة أخرى: رضا الله عن عبده يعني منحه نعمة الجنة ومقام الكرامة، كما يجيب عن هذا السؤال النص القرآني السابق بتفسير آخر النص قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم " وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "سورة التوبة، الآية: (100)،

[113] الطباطبائي، السيد محمد حسين " الميزان في تفسير القرآن " مكتب الاعلام الإسلام، ج 9، ص: 376.

[114] القرشي، السيد علي أكبر" تفسير أحسن الحديث" مؤسسة البعثة، طهران.، ايران، ج 4، ص: 302.

وهذا التفسيرهو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) يقول بعض كتب التفسير ومنها (تفسير القرطبي) في الرضا من الوجهين،

ومعنى الكلام: رضي الله عن جميعهم لمَّا أطاعوه، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، لمّا أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام، (وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار)، يدخلونها (خالدين فيها) وكما هو معلوم بالضرورة في الدين الإسلامي، فإن طاعة الرسول الكريم سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم من طاعة الله، قال تعالى " مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" سورة النساء، الآية: (80).

قال المفسرون في قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) أعلم الله تعالى أن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن يَعْصِنِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ"[115] وإن الرضا يكون من الله ومن العبد، وهو والرضوان بمعنى واحد، إلا أن الرضوان يعبَّر به عن الرضا الكثير، وأعظمُ الرِّضَا رضا الله تعالى؛ لذا خُصّ الرّضوانُ في القرآن الكريم بما كان

[115] الدرر السنية،" الموسوعة الحديثية" إشراف علوي بن عبد القادر السقاف، أخرجه البخاري (2957)، ومسلم (1835)، الشبكة العنكبوتية. مرجع سبق ذكره.

من الله تعالى، ورضا العبدِ هو أن يرضى العبد عن الله سبحانه وتعالى، وعن دين الإسلام المبين الذي وضعه ربُّه، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلّغنا هذا الدينَ الحنيفَ، وأن يُذعِنَ قلبيًّا لكل ما قدّره الله، وأن يستقبلَ ما حلّ به من بلايا ومصائب بسكينةٍ واطمئنان، يشير سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مثل هذا الأفق من الرضا بقوله: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"[116] والرضا عن الله: يُعدُ عبادة ويُعرَّف بأنه عبادة قلبية، لها شأن عظيم عند الله، حيث تعد درجة إيمانية عظيمة، تتجلّى فيها كل معاني الحب والشوق للقاء الله، والتطلّع والتّشوّق إلى رضوانه، لكن الكثير من الناس يجهلونها، ولا يصلون إلى هذه الدرجة الرفيعة، وكل ذلك عائد إلى جهلهم بالله، وعدم تقديرهم له، والسؤال المهم هو: كيف يكون الرضا عن الله؟ **How to be satisfied with God** ؟ الجواب يكون بالرِضا عن أَقدار الله تعالى المختلِفة ويعد قضاءُ الله نافذاً لا محالة. لذلك على الإنسان أن يتقبّله مهما كان عظيماً أو ثقيلاً على النفس، وأن يصبر خاصةً عند الصدمة الأولى، حيث قال صلى الله عليه وسلم: إنّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنّ اللّهَ تَعالَى إِذَا احَبّ قَوّمًا ابْتَلاَهُم، فمن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخطَ فله السُّخْطُ) كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن قضاء الله سنّة

[116] الراوي العباس بن المطلب، التخريج أخرجه مسلم، المصدر صحيح مسلم، الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، الشبكة العنكبوتية.

إلهية، إلا أنّ الاختلاف يكون بكيفية استقبال المؤمن لهذا القضاء، فمنهم من يستقبله بالرضا الذي هو أصل الإيمان الحق بالله سبحانه وتعالى، ومنهم من يستقبله بالجزع الذي هو صفة النفس الهلوعة، حيث قال سبحانه وتعالى: (إِنّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسّهُ الشّرُ جَزُوعًا) سورة المعارج، الآية:(20-19)،

"يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة، أي: إذا مسّه فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها"[117] الرِّضا عن شَرْع الله وحُكمه عزّ وجل يكون ذلك بعدم السخط على أي شيء أنزله الله سبحانه وتعالى، وورد في شريعته، وإنما بالتسليم، والطاعة، والانقياد، والخضوع، وأخذ كل ما ورد في الشريعة دون اختيار أو انتقاء أي شيء حسب أهواء النفس ورغباتها، فيفعل ما أمر الله بفعله، ويبتعد عما حذر منه، ونهى عنه، ويأخذ مما أباحه الله دون أن يتعدى على المحظور، حيث قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُهَا الّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السّلْمِ كَافّةً وَلَا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُبِينٌ) سورة البقرة،الآية:(208)، حيث لا مجال لإساءة الأدب مع الله، أو السخط على أي شيء من شريعته، أو انتقادها. قال الابن كثير في تفسيره لهذه الآية

[117] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء، 7، ص:381.

الكريمة" يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك، قال العوفي، عن ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وابن زيد في قوله: "ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ"يعني الإسلام وقال الضحاك يعني الطاعة، وقال قتادة الموادعة"[118]

....

علامات الرضا عن الله

ترك الاختيار لله قبل القضاء بما جاء في استخارته، فقدان المرارة عند القضاء. استمرارية حب الله حتى بعد القضاء. آثار الرضا عن الله يعد حالةً من أحوال أهل الجنة، فهو لا يفارق صاحبه لا في الدنيا، ولا في القبر، ولا في الآخرة. يعبّر عن ظاهر الدين وباطنه، حيث يدخل اللهُ صاحبَه في جنة الدنيا، ويهيّئه للدخول في جنة الآخرة. يضاعف الشكر الذي يعد أعلى مقامات الإيمان، و ثمرةً من ثماره.

يفرّغ القلب لله، ويزيد تعلّقه به. يعد سبباً من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فيعيش صاحبه هنياً. يخلّص صاحبه من الهموم والغموم، فيعيش راضياً. يبعد الهوى عن النفس، ويخرجه من القلب، ويزيد إيمانه، وقربه من الله، وهو ما يبعده عن ارتكاب الذنوب والخطايا، في المقابل يُعرَضُ

[118] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني، ص: 130.

سؤالٌ، مفاده: هل طاعة الحكام من طاعة الله؟ لا شك أن ذلك مشروط؛ -وسوف نشير هنا إلى مشكلة فكرية محددة- ولكنها ترتبط بالدين، وهي قصة القول بخلق القرآن، "حينما حاول المأمون أن يفرض على الناس عقيدة خلق القرآن كان رفض جمهور المسلمين تعبيراً صادقاً عن طبيعة الفكر الإسلامي الذي يأبى التسلط بأكثر مما كان رفضاً ذاتياً، وإذا كان احتكار الفكر في السياسة دكتاتورية فإنه في الدين كهانة لا يعرفها الإسلام "[119].

والرضا الديني يقوم على عدة عناصر، تكوّن بنيته، منها:

1-المطلوب إرضاؤه وهو هنا (أقصد في الشرائع السماوية) اللهُ تبارك وتعالى.

2-الإنسان المسلم الذي يبحث عن الرضا.

3-العلاقة أو وسيلة الرضا بين الباحث عن الرضا والمطلوب إرضاؤه.

4-العلاقة بين الباحث عن الرضا والمجتمع، في نوعيه: "المجتمع الداخلي، والمجتمع الخارجي".

5-الذات البشرية التي تصل إلى مرحلة الرضا.

---

[119] أحمد محمود صبحي " في علم الكلام – دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين" الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الجزء الأول: 1985م، ص: 10 .

في هذه الإشارة سوف نحاول رسم صورة إنسان مسلم (بمعنى: يؤمن بالقران الكريم والشرع الإسلامي بعد نزول القرآن الكريم على قلب سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم) يبحث عن الرضا الإلهي في إطار الشرائع السماوية، وهنا نقول عنها مجازاً الأديان: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وهذه الشرائع تتفق في كونها واحدة المصدر السماوي، ونضيف إلى ذلك أن هذا الإنسان في موقفين لا ثالث لهما:

1- يلتزم بدينه ويحافظ على كل شعيرة فيه.
2- يساير أصحاب الشريعة التي يريد الرضا منها.
3- يساير أصحاب الشريعتين الأخريين.

وموضوعنا مدار الحديث أن الرضا عن الباحث عن الرضا لن يكون إلا: باتباع ملة محددة، وهذا يعني الانخراط في هذه الملة والإيمان بها قلباً، وحياة، بمعنى أن تطبق كل سلوكياتها، وتقوم بكل شعائرها، يعني أخذها كاملة، ولا ينفع أن تختار ما فيها من جميل، لأن كل جميل لن يجعل أهل تلك الملة يهودية أو نصرانية راضين عنك باختصار الكل أو لا شيء، وصاحبنا في هذه الحالة مسلم له شريعة أو دين الإسلام الكامل وهنا نكون قد وصلنا الآن إلى الحديث عن الثلاثة عناصر، وهي:

1-شريعة سيدنا موسى. عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام أو الديانة اليهودية مجازاً

2-شريعة سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام. أو الديانة المسيحية مجازاً.

3-القرآن الكريم الشريعة الخاتمة، والمكملة للدين. وهو الدين الكامل" وفي هذا السياق يبرز السؤال التالي: ما هي المرجعية التي يُلزم بها صاحب هذا البحث عن الرضا؟ لا شك أن هذه الإجابة ستقول: الإسلام، وهذا أمر منطقي جداً، لأن المرجعية للباحث المسلم هي القرآن الكريم وفي ذلك يقول جل شأنهُ "

"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" سورة المائدة، الآية:(3)، قال عمر بن الخطاب" والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عشية عرفة في يوم جمعة"[120] والرضا محور هذا الكتاب لا يقوم على إرضاء أصحاب (الشريعتين اليهودية والمسيحية) ولكنه يقوم على إرضاء الله وإرضاء ضمير من يبحث عن ذلك الرضا.

في الصورة التي نتحدث عنها يدخل عامل آخر هو: بحث المسلم في أي مستوى كان عن رضا أصحاب المِلّتَينَّ، ومن واقع الحال فإن أكثر من يبحث عن ذلك الرضا وبصورة تصل إلى حالة اللهث هم جل حكام العرب،

[120] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء 3، ص:315.

وقد يدافع بعض الساسة والمتحذلقين عن ذلك الاتجاه بالقول: هم لا يبحثون عن الرضا في سياقه الديني، ولكنهم يبحثون عنه في سياقه السياسي؟؟ وتلك مصيبة أخرى! لأن السياسة لا معايير لها، وهذه العلاقة بين الدين والسياسة تحتاج إلى كتب لتفصيلها والحديث عنها وفيه، وبحكم المرجعية ووفقاً لنص القرآن الكريم فإن تحقق الرضا في مثل هذا الموقف له عدة شروط، ذكرها الله فقال تعالى " وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" سورة البقرة، الآية: (**120**).قال ابن جرير" يعني بقوله جل ثناؤه: "وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ" وليست اليهود يا محمّد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق"[121].

وأشار النص إلى مفهوم الملة وهو يعني: مَلّة: (اسم) المَلَّةُ، : التُّرابُ الحارُّ والرَّمادُ أَو الجمرُ يُخبَزُ أو يُطبَخُ عليه، أو فيه، المِلَّةُ: الشريعةُ أو الدِّينُ، كمِلَّةِ الإِسلام والنصرانية، وهي اسمٌ لما شَرَعَ اللهُ لعباده بوساطة أَنبيائه، ليتوصلوا به إِلى السعادة في الدنيا والآخرة. وأما الملة فإنها الدين، وجمعَها الملل، لو حقق المسلم هذا الرضا فإنه يكون اتَّبعَ إحدىَ الملتين: أما

[121] أبن كثير " تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص: 590.

اليهودية، وإما النصرانية، لأن تحققهما معاً في النطاق الديني مستحيل! ولكن ربما يمكن تحققهما في المجال السياسي، أو في المجال الاقتصادي إذاً وفقط إذا، **If and only if** كان لهما هدف مرسوم لك لتحققه لهما، وفيه مضرة بشريعة الإسلام.

أيها المسلم: أينما كنت في (ميانمار) في (الصين) في (الوطن العربي) في (أفغانستان) التي أراد الروس احتلالها وأراد الأمريكان احتلالها كنت غنياً أم فقيراً قال الله لك في شخص سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم لا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية قال تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ "سورة البقرة، الآية: **(113)**، يقول ابن كثير"هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي أن طلاً من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى؛ ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك. وهم يعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعةً في وقت ولكن تجاحدوا فيما بينهم عناداً وكفراً ومقابلة للفاسد بالفاسد"[122].

[122] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول ص: 568.

وتقول كتب التفسير في هذه الآية أيضاً عن ابن عباس قال، لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (رافع بن حريملة): ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى ابن مريم وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة. كفر كلاهما بدين الآخر، وكفروا جميعاً بدين الإسلام، ولكنهم على عَداَءِ الإسلاَمِ وأهَّلِهِ اليوم في اتفاق، فأرض أهله محتلة (أرضٌ سورية) و (أرض أردنية) يعطيها الرئيس الأمريكي (ترامب) هدية لإسرائيل متى شاء، ولأي قطعة شاء، وضاع حلم حل الدولتين في فلسطين، فقد قال رئيس وزراء إسرائيل (حل الدولتين وهم لم يعد له أي أساس) كم لهث خلفه من شخصيات من: مشايخ القبائل العربية، وإعلاميين، وساسة، وأمراء، ورؤساء، وملوك.

هذا الترتيب وفق الرؤى السياسية العربية الحديثة، ولم يعد أحدٌ يتجرأ على ذكر جزر الخليج التي تحتلها (إيران)، ومع هذا الواقع الجغرافي يتفق الواقع السياسي، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تْجِتمعوُا على الرضا بك، إلا أن تكون يهودياً نصرانياً، وذلك مما لا يكون منك أبداً، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك

سبيلاً. لا يتفقون في شيء إلا في الحقد على الإسلام، وكره كل مسلم مهما تصور أنه في صفهم، فهو خادم لهم لن يكون منهم هذا إذا كان مسلماً قلباً ليس قولاً. ويفصل سبحانه وتعالى لكل ذلك بقوله " يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلّهُم مّنكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ إِنّ اللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ"سورة المائدة، الآية:(51).

في هذا النص الكريم" ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله - قاتلهم الله – ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: وَمَن يَتَوَلّهُم مّنكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ"[123]ما قاله القرآن الكريم حكمٌ صادق، لأنه من خالق البشر، ومنزل الشرائع، والدين بمعناه المتكامل، يستغلون العرب بجهلهم، وفقرهم، ويعطون أرضهم هدايا لليهود، ويقتلون أبناءهم بأيدهم في حروب وأوهام، وأسماء يأتون بها وفق مصالحهم، ويتوهم العرب أن تلك المصالح عامل مشترك بين الإنسانية جمعاء، إنه الجهل، والوهم، وحب السلطة، أفيقي أيتها الشعوب، أنتم تزغردون في بقايا ماء آسن، ويقودونكم إلى الجفاف أيها الوطن أنت ضائع لا محالة.

[123] ابن كثير " تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول ص: 417.

الرضا بالأحكام الإلهية: Satisfaction with divine rulings

نشير في هذه الجزئية إلى نماذج محددة في مسألة الرضا، توضح طبيعة العلاقة بين الله والإنسان، رضا الله على الإنسان، يكون بتنفيذ حكم معين، ورضا الإنسان بهذا الحكم والبحث عن كيفية تحقق ذلك، لأن الوصول إلى الرضا الإلهي هو المطلب والهدف لمن يبحث عنه ونموذجنا هنا مسألة الظهار وأحكامها وفق الشريعة الإسلامية. قال تعالى" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"سورة المجادلة، الآية: (1)، تقول كتب التفسير عن هذه الآية فيه مسألتان: " الأولى : قوله تعالى : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة، وقيل: بنت حكيم. وقيل اسمها: جميلة، وخولة أصح، وزوجها أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت، "وقد مرّ بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، والناس معه على حمار، فاستوقفته طويلاً، ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه

عمر؟ وقالت عائشة رضي الله عنها: "تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والذي في البخاري عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" قال عروة: وكان امرأ به لمم فأصابه بعض لممه، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، وكان الإيلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: حرمت عليه، فقالت: والله ما ذكر طلاقاً، ثم قالت: أشكو إلى الله فاقتي، ووحدتي، ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي، وقد نفضت له بطني، فقال: حرمت عليه، فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الآية، وروى الحسن: أنها قالت: يا رسول الله! قد نسخ الله سنن الجاهلية، وإن زوجي ظاهر مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أوحي إلي في هذا شيء، فقالت: يا رسول الله، أوحي إليك في كل شيء وطوي عنك هذا؟! فقال: هو ما قلت لك فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله، فأنزل الله: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله" الآية"[124]. التي بها وُجد حكمٌ لهذه المعضلة، يقبله الله تعالى، ويرضى

[124] محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي" الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق،أحمد عبدالعليم البردوني،س الطبعة الثانية، دار الشام للترات،بيروت،لبنان، الجزء، 17، ص: 270.

به المسلم، وهو تراضٍ مشروطٌ كما ذكرت الآية الكريمة، بعدم التماس قبل تنفيذ الحكم بأحد وجوهه، وهو قوله تعالى "الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "سورة المجادلة، الآية:(4).قال الإمام أحمد "عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيَّ واللهِ وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، فدخل علي يوماً فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت عليَّ كظهر أمي"[125] وفي تفسير الإمام الطبري: " يقول تعالى ذكره: الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم بظهور أمهاتهم، فيقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية.كذلك حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: كان الظهار طلاقاً في الجاهلية، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً، فأنـزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنـزل"[126] وأساس هذه القضية أن (السيدة) خويلة لم ترضَ

[125] ابن كثير" تفسير القرآن العظيم" مرجع سبق ذكره، الجزء،7، ص: 195.
[126] الطبري" تفسير الطبري" الواجهة الرئيسية، واجهة الطباعة، الشبكة العنكبوتية، ص:542.

بجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها لأنه قال: حرمت عليه، وكانت حجتها قوية لأن الإسلام جب ما قبله من مثل هذه التصرفات والأقوال في الطلاق؟ وقالت: والله ما ذكر طلاقاً؟ واشتكت إلى الله عالم كل شيء، وكان الجواب الشافي المرضي في سورة المجادلة فسبحان من وسع سمعه كل شيء. وجوهر الحكم القبولُ بأي نمطٍ يأتي، طالما لا يخالف النص القرآني، " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس: أعتق رقبة قال، مالي بذلك يدان، قال: فصم شهرين متتابعين قال: أما إني إذا أخطأني أن آكل في يوم ثلاث مرات يكل بصري. قال: فأطعم ستين مسكيناً قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، قال: فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعاً، حتى جمع الله له، والله غفور رحيم"[127]

وبعد هذه اللمحة عن الرضا في سياق الدين والإشارة إلى عدة مواقف والشروط التي يتوقف عليها الرضا بين الله والإنسان، والإنسان وأخيه الإنسان ننتقل إلى الفصل الرابع الذي يتناول مسألة الرضا في (الجانب السياسي).

[127] محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي" الجامع لأحكام القرآن" الطبعة الثانية، دار الشام للتراث، الجزء، 17، ص: 271.

الفصل الرابع

"الرضا السياسي"

Political satisfaction

السياسة **Politics** مفهوم عميق، وأصيل في البحث الفلسفي، والشرعي، والاجتماعي، يعرف في قاموس الفلسفة بالقول:"السياسة مصدر ساس، وهي تنظيم أمور الدولة، وتدبير شؤنها، وقد تكون شرعية، أو تكون مدنية"[128]، وبالمنطق ذاته في الجانب السياسي، فإنّ للرضا لغةً واحدةً، وهي عدم الرضا بالواقع، ولو كان عكس ذلك، فكل الشعوب التي ثارت في وجوه الطغاة أخطأت، وكان عليها أن ترضى بالواقع وكل الثورات ينبغي أن يتم الاعتذار عنها، مثل الثورة الفرنسية والبلشفية. والقول بأنها كلها أخطأت، - وقد يكون من المنطقي جداً القول بأن فكرة الرضا السياسي أقرب إلى فكرة العقد السياسي (**Social Contract**) وهو فكرة وخطوة سبقتها عدة نظم لم تكن تقوم على هذه الفكرة، ويعرف العقد الاجتماعي عند بعض المفكرين بالقول: "اتفاق بين أشخاص أو بين هيئة سياسية موجودة قبل وجود الدولة تشكل تنظيمات اجتماعية سابقة على الدولة، وهم يتفقون على إقامة سلطة سياسية مركزية، وعلى إنشاء الدولة"[129]، وهذه الهيئات والأشخاص تكون من الشعب، حيث يتراضون على نظام سياسي يخدم مصلحة الجميع، وفي حالة عدم وجود الرضا فإن الشعوب تعبر عن ذلك من خلال ثوراتها، ويمكن القول في الفكر السياسي الإسلامي إن ثورة

[128] جميل صليبا" المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص: 679.
[129] عصام سليمان" مدخل إلى علم السياسة" دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص: 58 .

(ابن الاشعت ت: **704** م)• " يسميها بعض البحاث في علم التاريخ فتنةُ ابنِ الأشعَثِ"[130] تُعدّ مسباراً مهماً في كشف عدم الرضا بين الحاكم والمحكوم، وكذلك الضغائن الشخصية بين الحاكم وأتباعه وقادة جنده، تقول المراجع التاريخية:" أعدَّ الحجاج جيشاً بَالَغَ في تجهيزه، وعهد بقيادته إلى عبد الرحمن بن الأشعث الذي لم تكن علاقته به جيدة، وقد عينه حاكماً على سجستان وأمره بإخضاع (رتبيل)، تقدم عبد الرحمن بهذا الجيش في عام **80**هجرية /**699** م باتجاه سجستان، وهاجم معاقل (رتبيل) الذي انسحب من أمامه...، وانتهى إلى قرار بتجميد العمليات العسكرية لمدة سنة، لكن الحجاج لم يرضَ بهذا القرار"[131]، الذي كانت له عواقب وخيمة فيما بعد. والسبب في ذلك اختلاف الرأي بين الحجاج وابن الأشعت حيث كانت "سياسة ابن الأشعت تقوم على اصطناع الروية وعدم التفريط بأرواح الجند، فعدّ الحجاج ذلك منه ضعفاً وتراخياً، وأمره بالإسراع في الفتح والإيغال في أرض الأعداء فجمع ابن الأشعت امراء جنده واستشارهم في الأمر، بعد أن تأكد لديه أنهم يبغضون الحجاج بقدر ما يبغضون هذه

• عبد الرحمن بن محمد الكندي، كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها صاحب أعنف الثورات ضد الدولة الأموية، بدأ عبد الرحمن كأي قائد عسكري حليف لبني أمية وضم عددا كبيراً من البلدان لصالح الدولة الأموية، ولم تكن أسباب خروجه دينية على الإطلاق.

[130] أبي الفداء إسماعيل ابن عمرو ابن كثير" البداية والنهاية" تحقيق، عبدالله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الجزء الثاني عشر،هجر للطباعة والتوزيع والاعلان، الرياض، السعودية، 1998م، ص: 305.

[131] محمّد سهيل طقوش" تاريخ الدولة الأموية" الطبعة السابعة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 2010م ، ص: 87 .

الحرب في تلك البلاد المتوحشة"[132]. ولهذه الثورة ميزة خصوصاً وأن في هذه الثورة شارك ثلة من علماء الأمة المشهورين بعلمهم وفضلهم. ونشير هنا بشكل موجز إلى تولي الحجاج الإمارة على العراق، كما تذكر المصادر التاريخية" في سنة خمس وسبعين هجرية حج عبد الملك بن مروان وخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم وعزل الحجاج عن الحجاز وأمره على العراقيين. سنة ثمانين هجرية فيها بعث الحجاج على سجستان عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث الكندي فلما استقر بها خلع الحجاج وخرج وكانت بينهما حروب يطول شرحها"[133]وقد قدم فقهاء الإسلام عديداً من التعريفات للسياسة، منها: "السياسة لغة: هي مصدر الفعل سَاسَ، يَسُوسُ؛ أي: تعهد الشيء بما يصلحه، وذلك عن طريق القيادة والتدبير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[134]، نلاحظ أن هذا التعريف وضع النمط السياسي في قالب معين، وكذلك حدد مصدره، ولقد تحدث الأستاذ "زين العابدين كامل" عن هذه الثورة ومما قال" لقد شارك عددٌ كبيرٌ مِن أهل الفضل في ثورة ابن الأشعث، منهم العلماء، ومنهم القُراء، ومنهم العُباد والزُهاد المشهورون بكثرة التعبد، ومنهم مَن كان يحرِّض على الحجاج،

---

[132] كارل بروكلمان" تاريخ الشعوب الإسلامية" ترجمة، نبيه أمين فارس،منير البعلبكي،الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين، 1979م، ص:145.

[133] أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي" شذرات الذهب في أخبار من ذهب"،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص:87.

[134] محمد وقيع الله أحمد" مدخل إلى الفلسفة السياسية" الطبعة الأولى، شباب لعصر المعرفة، دمشق، سوريا،: 2010م، ص: 19.

ولكنه لم يخرج مع ابن الأشعث، ولم يبايعه"[135] وتضيف المراجع التاريخية" سنة إحدى وثمانين فيها قام مع ابن الأشعت أهل البصرة من العلماء والعباد فاجتمع له جيش عظيم ولقوا الحجاج يوم الأضحى فانكشف عسكر الحجاج وانهزم هو وتمت بينهما عدة وقعات حتى قيل كان بينهما أربع وثمانون وقعة في مائة يوم ثلاث وثمانون على الحجاج والآخرة له"[136] وتضيف المراجع التاريخية تحديد هدف تلك الثورة بالقول: وفي سنة: 81 هجرية تزعم (ابن الاشعث) أعظم ثورة عراقية اشترك فيها العراقيون من مختلف الطوائف عرب وغير عرب، هدفهم التخلص من الحجاج وقسوته، ثم التخلص من الأمويّين، وإقامة حكم عراقي ينبثق من رغبتهم"[137]. وفي" سنة اثنتين وثمانين هجرية فيها استعرت الحرب بين الحجاج وابن الأشعت وبلغ جيش ابن الأشعت ثلاثة وثلاثين ألف فارس ومائة وعشرين ألف راجل قاموا معه على الحجاج لله تعالى"[138]

ويذكر (خليفة بن خياط)، أن عددهم بلغ خمسمائة عالم، ولعل هذا العدد يشمل العلماء والقراء وأهل الصلاح، فقد ذكر الذهبي أن أنس ابن مالك

---

[135] أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني **"**تاريخ خليفة بن خياط**"** تحقق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثالثة، الناشر: دار طيبة،الرياض، السعودية، 1985م،ص: 280

[136] أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي**"** شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"**،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص: 88.

[137] ثابت إسماعيل الراوي**"** تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والامويّين**"** الطبعة الأولى، مطبعة الارشاد، بغداد، العراق، 1970م، ص: 175.

[138] أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي**"** شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"**،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص:90.

رضي الله عنه، الصحابي الجليل، قد كان ممَن يؤلب على الحجّاج، ويدعو إلى الانضمام إلى ابن الأشعث، وذكر ابن كثير رحمه الله: أن الحجاج توهم أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان له مداخلة في الأمر "ومِن الذين شاركوا أبو الشعثاء سليم بن أسود المحاربي رحمه الله، فقد شارك مع ابن الأشعث، وقيل: قتل يوم الزاوية. فانهزم ابن الأشعث وقتل من أصحابه ناس كثير"[139] وعبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، كان مِن كبار المشاركين في تلك الحركة المحرضين على القتال فيها، وتوفي بوقعة دير الجماجم التي وقعت سنة: **82** هجرية الموافق **701**م، حيث اقتحم به فرسه الفرات فغرق رحمه الله، وكذا الإمام الشعبي رحمه الله، حيث قال: فلم أزل عنده أي الحجّاج بأحسن منزلة، حتى كان شأن ابن الأشعث، فأتاني أهل الكوفة، فقالوا: "يا أبا عمرو: إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجتُ معهم، يدلل قول الشعبي في حضرة الحجاج على ذلك" سلم عليه بالإمرة ثم قال أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن اعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً والله سودنا عليك وحرضنا وجهدنا عليك كل الجهد فما ألونا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا "[140]، وهناك من المؤرخين من يذكر أن وقعة دير الجماجم كانت سنة ثلاث وثمانين هجرية" فيها في قول الفلاس وهو الصحيح وقعة دير

[139] أبو عمرو خليفة بن خياط، المرجع السابق ص: 283.

[140] الشيخ محمد الخضري بك" محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية" المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،مصر، 1969م،ص:148.

الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث وكان شعارهم ياثارات الصلاة لأن الحجاج كان يميت الصلاة حتى يخرج وقتها. فقتل مع ابن الأشعث أبو البختري الطائي"[141]. ويصف بعض المؤرخين خطة الحجاج لحكم العراق بالقول" خطة الحجاج التي أرد أن يسوس بها أهل العراق وهي خطة العسف والجور لا تُصلِح أمة إصلاحاً حقيقياً أبداً وإنما تضع على المرجل غطاء لا يلبث البخار أن يقتلعه ويطير به"[142]. والسؤال اليوم كم من حجاج في الوطن العربي؟

وهنا نشير إلى أن السياسة لم تكن غائبة أبداً عن التفكير الديني وأعلامه، فهذا ابن القيم كتب عن السياسة من الوجهة الشرعية: "السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد وإن لم يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نزل به وحي"[143]، ومن المشاركين في ثورة أبن الأشعث: سعيد بن جبير، ممَن شارك مع ابن الأشعث، وكان يحضض على القتال، ونجا مِن القتل، وتوارى عن الحجّاج مدة، ولكن تمكن منه عندما قبض عليه والي مكة، وأرسله إليه فقتله الحجّاج سنة: 94هـ، وقد كان لمشاركة العلماء في هذه الحركة بهذا الحجم أثر كبير في

---

[141] أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي" شذرات الذهب في أخبار من ذهب"،منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص:93.

[142] الشيخ محمد الخضري بك" محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية" المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،مصر، 1969م، ص: 145.

[143] محمد وقيع ص: 21 .

الحركة، كما كان للعلماء المشاركين أثرٌ كبير في ميدان القتال، فكانت لهم كتيبة خاصة بهم تسمَّى (كتيبة القراء، منهم: مسلم بن يسار مُزني، وعقبه بن غافر العوذي، وعبد الله بن غالب الجهمضي، وغيرهم)•، وهنا نشير إلى أمر مهم وهو رأي بعض علماء التاريخ الذي نصه"ولم تصطبغ هذه الثورة بأي صفة دينية، وإنما كانت إقليمية، سعى العراقيون من خلالها إلى تقويض الحكم الأموي"[144]، وقد لقي الحجّاج وجيشه عنتًا ومشقة مِن كتيبة القراء هذا وقد انضم إلى ابن الأشعث طوائف كثيرة وفئات متنوعة، تحركها دوافع مختلفة، ولكن الدوافع التي حركت العلماء كانت دوافع شرعية بحسب ما وصل إليه اجتهادهم. ويمكن القول في هذا الموضع وتلك الثورة ورأي المشاركين فيها: إنها ثورة عدم الرضا على التطبيق العملي للسياسة الشرعية كما يراها هؤلاء المقاتلون، وهي المخالفة التي يتبعها الحجاج في عدة مسائل، حيث خالف فكرة السياسة القائمة على استمدادها،" فإذا كانت شرعية كانت أحكامها مستمدة من الدين"[145]، بما يفيد تطبيق الشرع الإسلامي، وقد كان القاسم المشترك لكل هذه الدوافع شخصية الحجّاج، الظالمة الجائرة المتغطرسة، المتعطشة لسفك الدماء؛ ولذلك كان العلماء ينقمون على الحجّاج، لتعديه لأعظم الحدود في الإسلام،

• يمكن الرجوع إلى كتاب خليفة بن خياط للاستزادة ص 286.

[144] ثابت إسماعيل الراوي" تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والامويين" الطبعة الأولى، مطبعة الارشاد، بغداد، العراق: 1970م، ص: 177.

[145] جميل صليبا" المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص 679

وانتهاكه لحرماته، وتساهله في سفك الدماء، وكانوا ينقمون عليه، سوء معاملته وظلمه للجميع بمَن فيهم العلماء، ولقد انتهت هذه الثورة أو الحركة كما يسميها علماء التاريخ بنهاية قائدها ابن الأشعث الذي انتحر من فوق القصر بعد انتصار الحجاج، ومطابته لرتبيل بتسليمه. وكما هو معروف في الفلسفة اليونانية القديمة والدراسات الطبية فإن شخصية الإنسان كانت محل دراسات متواصلة إلى اليوم،" وربما كان لشخصية الحجاج الدموية الدور الكبير في قيام هذه الثورة ضد الدولة الأموية وعبر تاريخ الفكر. وفي هذا المقام يمكن أن أزعم بأن فكرة عدم الرضا السياسي فكرة شرقية، ربما يُدلل على ذلك من تاريخ الفلسفة رضا (سقراط) بتنفيذ حكم الإعدام فيه لأنه: رأى أن القانون السائد في ذلك الوقت وتلك الدولة يجب أن يمتثل له كل مواطن، وذلك لا يعبر إلا عن الرضا بالنظام السياسي القائم. على الأقل عند واحد من عظماء الثالوث الفلسفي في أثينا.

ولما كان للشخصية أثر في حياة الدول والأفراد فقد اهتم العلماء والفلاسفة بدراستها، و"يوجد عده تعريفات للشخصية، فيمكن تعريفها بمجموعة من أساليب التفكير والتصرف واتخاذ القرارات والمشاعر المتأصلة والفريدة لشخص معين، ولقد بدأت الدراسة والتحليل لشخصية الإنسان من اليونانيين القدماء، وخاصة من (أبقراط Hippocrates 460 ق. م 370

ق. م) الذي اعتقد أن الاختلاف في الشخصيات بين بني البشر يرجع إلى اختلاف نسب ما وصفه بالسوائل الحيوية الأربعة، وهي بحسب أبقراط: الدم، والمادة الصفراء من مرارة الإنسان، والمادة السوداء من مرارة الإنسان، والبلغم، فعلى سبيل المثال اعتقد ابقراط أن: "الشخصية الدموية"، تكون ذات صفات متفائلة ومحبة للمغامرة بعكس "الشخصية البلغمية" التي تكون غير مبالية. وبعد أبقراط حاول أرسطو تحليل الاختلاف في الشخصيات، فقام بتفسيرها بحسب قسمات الوجه والبناء الجسمي للشخص، فعلى سبيل المثال اعتقد أرسطو أن الأشخاص ذوي البنية النحيفة يكونون عادة خجولين. وقام (داروين **Charles Robert Darwin 1809- 1882**م) بتحليل الشخصية كعوامل غريزية اكتسبها المرء من غرائز البقاء الحيوانية. أما (سيغموند فرويد **Sigismund Schlomo Freud 1856- 1939**م)، فقد حلل شخصية الإنسان بصراع بين (الأنا) السفلى و(الأنا) و(الأنا العليا) وفي الوقت الحالي يعد عاملاً: الوراثة، والمجتمع، المحيط بالفرد من أهم العوامل التي تبني شخصية الإنسان، وعرّف مورتون **John Morton 1933**م) الشخصية بأنها: حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوي البيولوجية الموروثة، وكذلك الصفات والميول المكتسبة، ويقول بعض علماء النفس: "إن الشخصية هي التنظيم الديناميكي في الفرد نفسه لتلك الاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً، التي تُعدُّ مميزاً خاصاً للفرد، وبمقتضاها

يتحدد أسلوبهُ في التكيف والتعامل مع البيئة"[146]، وما أحوجنا اليوم إلى قيام دراسات على شخصية الحاكم حتى بعد ما يسمى بنجاحه الديموقراطي، الذي أصبح مهزلة، عمادها تزوير ما يسمى بالانتخابات عبر العالم.

لقد وصل الحجاج في إسرافه في القتل إلى أنه كان يقتل بأدنى شبهة، فقد روى أبو داود بسندٍ صحيحٍ عن عاصم قال: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ يعني:اسمعوا وأطيعوا من دون استثناء، ومعلوم أن السمع والطاعة لولاة الأمور فيها استثناء، وليستْ على إطلاقها، بل ذلك في حدود طاعة الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-، فيسمع له، ويطاع في حدود طاعة الله ورسوله، وليس على الإطلاق) وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتُ رَبِيعَةَ بِمُضَرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللَّهِ حَلَالًا!".

وقال ابن كثير رحمه الله معلقًا على بعض تجاوزات الحجّاج مما يبيِّن سبب استهانته بالقتل: "فإن الحجّاج كان عثمانيًّا أمويًّا، يميل إليهم ميلًا عظيمًا، ويرى خلافهم كفرًا، ويستحل بذلك الدماء، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

[146] موقع برنكيبيا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية

ويورد أبن كثير قول الشّعبيّ في الحجاج وأصحابه: قاتِلُوهم على جَوْرِهم واستذلالِهم، الضعفاءُ وإماتتهم الصلاةَ"[147] وقال في موضع آخر:" أعظم ما نقم عليه وصح مِن أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل وقد أنكر العلماء على الحجّاج هذا الإسراف في القتل، فروي عن الإمام عبد الرحمن بن أبي نعم أنه قال للحجّاج: "لا تسرف في القتل، إنه كان منصورًا". فقال الحجّاج: والله لقد هممت أن أروي الأرض مِن دمك". فقال: إن مَن في بطنها أكثر ممَن في ظهرها وكان جواب سعيد بن جبير رحمه الله للحجّاج عندما سأله عن رأيه فيه، فقال: "نعم ظهر منك جور في حد الله، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله، وهنا يمكن التدليل على كثرة القتل بكثرة الثورات التي قامت ضد الحكم الأموي، وتصدى لها الحجاج ومن بينها وقعة الزاوية الشهيرة " سنة اثنتين وثمانين هجرية ففي المَحرّم منها كانت وقعةُ الزاويةِ بينَ ابنِ الأشعث والحجاج "[148] ومِن تجاوزات الحجّاج: تطاوله على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وسوء تعامله مع العلماء؛ فلقد تجاوز في معاملته مع ابن عمر، وابن الزبير وأسماء بنت الصديق رضي الله عنهم جميعًا، ومِن ذلك: تطاوله على عبد الله ابن مسعود وهو متوفى رضي الله عنه، فعن الصلت بن دينار قال: سمعتُ

[147] أبي الفداء إسماعيل ابن عمرو ابن كثير" البداية والنهاية" تحقيق، عبدالله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الجزء الثاني عشر،هجر للطباعة والتوزيع والاعلان، الرياض، السعودية، 1998م، ص: 317.

[148] ابن كثير" البداية وانهاية" ص 305.

الحجاج على منبر واسطٍ يقول: "عبد الله بن مسعود رأس المنافقين، لو أدركته لأسقيت الأرض مِن دمه!". قال: وسمعته على منبر واسط وتلا هذه الآية: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) قال: "والله إن كان سليمان لحسودًا!"، وهذه جراءة عظيمة تفضي به إلى الكفر، وقد رُوي أن الحجاج أرسل إلى سهل بن سعد رضي الله عنه يريد إذلاله فِي سنة أربع وسبعين، فقال: "ما منعك مِن نصر أمير المؤمنين عُثْمَان؟ قال: قد فعلت.

قال: كذبت، ثم أمر به فَختم فِي عنقه"، وخُتم أيضًا فِي عنق أنس، حتى ورد كتاب عَبد المَلِك فيه، وخُتم فِي يد جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ لأنه لم يمد يده إليه في السلام، فكان يريد إذلالهم بذلك، ومع كل ما قيل عن الحجاج وفيه، فإن للتاريخ دوافعه الشخصية التي توجب التمحيص والتحليل لمن أراد أن يدرس الحجاج بما له وما عليه، وفي مسألة الإدلال والسيطرة التي كان يمارسها الحجاج ضد الرعية وعدم الرضا بها في وقت لم تكن فيه جمهوريات مثل: فرنسا، وعقود اجتماعية مثل: عقد جان جاك روسو، ولا عقد جون لوك، ولا عقد هوبز، ولا مواثيق دولية تسمى حقوق الإنسان. حينها كان العراق وشعبه بكل طوائفه يقاتل الظلم السياسي ويبحث عن الرضا. وهنا يمكن التشبيه بما فطن إليه بعض رؤساء أمريكا من اليهود في مجال عدم الرضا السياسي، حيث يمكن الاستشهاد

بعدم رضا بعض رؤساء أمريكا عن الوجود اليهودي في أمريكا، لما يمثله بحسب تصورهم من سيطرة شاملة على الدولة وشعبها، وقد نقل العالم محمّد سيد طنطاوي: **1928م 2010م** الذي (انتدب للتدريس في ليبيا لمدة (**4**) سنوات) قبل أن يعين في أي منصب حكومي، حيث عين مفتيًا للديار المصرية في (**28**) أكتوبر **1986م** وفي **27** مارس **1996م** عين شيخًا للأزهر، في كتابه (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) مطبوعات دار مكتبة الاندلس، بنغازي، ليبيا، الجزء الأول: **1973م**، ص د. جزءاً من خطاب الرئيس الأمريكي (بنيامين فرانكلين) في عيد الدستور الأمريكي سنة **1789م**، ومما نقله فضيلته: " أيها السادة هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر هو اليهود، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال وإسبانيا، إذا لم يستثنِ اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة، فإنه لن يمضي أكثر من مئتي سنة؛ ليصبح أبناؤنا عمالاً في الحقول لتأمين الغذاء لليهود"[149]، وهكذا صدقت نبوءة هذا الرئيس الذي أدرك ببصيرته وحكمته طبيعة اليهود ومقدرتهم التي يجب أن توضع دائماً في الحسبان. فماذا تقول فيمن عاش يزعم أنه جزءٌ من أمنهم؟ ومن يهرول اليوم لكي يُقبل لديهم؟ ولم يكن فرانكلين وحده من أشار إلى خطرهم في أمريكا.

[149] محمّد سيد طنطاوي **"** بنو إسرائيل في القرآن والسنة**"** مطبوعات دار مكتبة الاندلس، بنغازي، ليبيا، الجزء الأول**:** 1973م، ص**:** د.

فهناك تحذيرات (جورج واشنطن **George Washington 1732-1700م**)، لقد سبق وحذر الرؤساء الأمريكيون الأوائل من مخاطر الهيمنة اليهودية على الحياة الأمريكية، وكان على رأس هؤلاء الرئيس جورج واشنطن الذي قال في عام: **1788م** محذراً: من المؤسف أن الدولة لم تطهر أراضيها من هذه الحشرات بالرغم من علمها ومعرفتها بحقيقتهم، إن اليهود هم أعداء سعادة أمريكا ومفسدو هنائها. وفي كتاب عن مأثوراته قال واشنطن عن اليهود أيضاً: إنهم يعملون ضدنا بشكل أكثر فعالية، مما تفعله جيوش العدو، فهم أخطر مئة مرة على حرياتنا وقضايانا، وإنه لمن المحزن جداً أن كل ولاية لم تعمد منذ أمد بعيد إلى ملاحقتهم بوصفهم آفة على المجتمع.

أما الرئيس الأمريكي (بنيامين فرانكلين: **Benjamin Franklin 1706- 1790م**) فقد خاطب مؤتمر إعلان الدستور في فلادلفيا سنة (**1789م**) قائلاً: (هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك هو الخطر اليهودي، أيها السادة: حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم يكونون حكومة داخل الحكومة، وحينما يجدون معارضة من أحد، فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً)، وكان فرانكلين في هذا يشير إلى محاولات المرابين اليهود وضع بنك أمريكا تحت سيطرة بنك إنجلترا، الذي كان يرأسه

الصهيوني المعروف (آميشيل مايرروتشيلد **Mayer Amschel Rothschild 1744-1812**م) وما يعنيه ذلك من هيمنة يهودية على الاقتصاد الأمريكي. ثم يضيف فرانكلين قائلاً: منذ **1700** م سنة، وهم يندبون مصيرهم، لا لشيء إلا لادعائهم أنهم طردوا من الوطن الأم (فلسطين)، ولكن تأكدوا أيها السادة أنه اذا أعاد اليهم عالمنا المتحد فلسطين، فإنهم سيجدون الكثير من المبررات لعدم العودة إليها، والاكتفاء بها لماذا؟ لأنهم مثل الطفيليات التي لا تعيش معتمدة على نفسها، إنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم، فلابد لهم أن يعيشوا بين المسيحيين، وبين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم، وقال: إذا لم يُمنع اليهودُ من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بموجب الدستور، ففي أقل من: (**100**) سنة سوف يتدفقون على البلاد بأعداد ضخمة كالجراد، تجعلهم يحكموننا، ويدمروننا، وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة، فإنه لن تمضي أكثر من (**200**) سنة ليصبح أبناؤنا عمالاً في الحقول، لتوفير الغذاء لليهود الذين سيجلسون في البيوت المالية مرفهين يفركون أيديهم في غبطة.

وعودة لتصرفات الحجاج مع أهل العلم، والفضل، وفكرة السيطرة الاقتصادية على المجتمع، التي أشار إليها رؤساء أمريكا. فقد كان الحجاج حريصاً على أن يجتنبهم (العلماء وأهل الفضل)، الناس، ولا يسمعوا منهم، هذا فضلًا عن تأخيره للصلاة عن وقتها، ومع تأخيره الصلاة فهو لا يقبل

تنبيه أحد مِن العلماء أو إبداء النصح له على ذلك، وهذا مأخذ آخر أخذه العلماء على الحجّاج، وهو عدم قبوله لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! وبهذا يتضح: لماذا شارك بعض العلماء والفقهاء والقراء في ثورة ابن الأشعث؟! وإن كان بدايةُ (الفتنة) سببُها الخلاف الذي حدث بيْن الحجاج وابن الأشعث بسبب التوغل في بلاد الترك؛ إلا أن ظلم الحجاج وبغيه هو الأصل الذي تحركت الجماهير مِن أجله، ومع هذا الرفض وعدم الرضا من طرف عديد العلماء فإن هناك موقفاً آخر هو معارضة بعض العلماء لثورة ابن الأشعث، حيث كانت هناك طائفة أخرى مِن العلماء عارضوا الثورة، واعتزلوها، ولم يروا المشاركة فيها، ومِن أبرز هؤلاء: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، وأبو قلابة الجرمي، فلم يشارك، وكان يعتب على غيره ممَن شارك. ومنهم: أي غير المشاركين إبراهيم النخعي فلم يشارك، وكان يعيب على سعيد بن جبير مشاركته فيها، وقد قيل له: أين كنت يوم الزاوية؟ قال: في بيتي. قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي. قالوا: فإن علقمة شهد صفين مع علي، فقال: بخ بخ مَن لنا مثل علي بن أبي طالب ورجاله"، وممَن لم يشارك في حركة ابن الأشعث أيوب السختياني، ومنهم: طلق بن حبيب، فكان معتزلاً الفتنة، وكان يقول: "اتقوها بالتقوى"، ومنهم: مطرف بن عبد الله الشخير، فقد امتنع عن المشاركة في هذه الفتنة، وحين جاءه ناس يدعونه للمشاركة امتنع، فلما أكثروا عليه قال: "أرأيتم هذا الذي تدعوني إليه، هل يزيد على أن يكون جهادًا في سبيل الله؟ قالوا: لا، قال: فإني لا

أخاطر بيْن هلكة أقع فيها، وبيْن فضل أصيبه"، ومنهم مجاهد بن جبر – ويقال: ابن جبير–، فإنه لم يشارك، وحين دُعي للمشاركة، قال لمَن دعاه: "عده بابًا مِن أبواب الخير، تخلفتُ عنه"، ومنهم: خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، ومحمد بن سيرين.

ويعد الحسن البصري واحدًا مِن العلماء الثقات الذين عايشوا هذه الفتنة، لكنه كان يدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف، وينهي عن الإثارة والفرقة، ويدعو إلى السمع والطاعة للولاة، وكان يرى وجوب الموازنة بيْن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووحدة الجماعة، ولقد عاصر الحسن البصري معظم مراحل الحكم الأموي، وتأثر بالواقع السياسي في هذه المرحلة، فأصبح يمثِّل مدرسة سياسية في عصره؛ فهو يرى أن حكم بني أمية فيه ظلم وجور، ولكنهم في الوقت نفسه يملكون القوة العسكرية، وموازين القوى في صالحهم، كما أن الفئة الراغبة في التغيير والشاكية من الظلم، ينقصها التنظيم والإعداد والقوة والصبر، ويرى أن الذين يحملون راية الخروج على حكم بني أمية، إما مخلصٌ لدينه، ولكنه لا يصلح للحكم، ولا يقدر على إحداث التغيير، وإما رجال يستخدمون الدين والدعوة للتغيير، لأغراضٍ دنيوية، منها: حبهم للسلطة والحكم، فليسوا بأحسن حال مِن الأمويين، وكان إذا قيل له: "ألا تخرج فتغير؟! فكان يقول: إن الله إنما يغير بالتوبة، ولا يغير بالسيف،". ومِن أقواله: "يا أيها الناس: إنه والله ما

سلط الله عليكم الحجّاج إلا عقوبة، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف، ولكن عليكم، السكينة والتضرع"، وقدم عليه جماعة مِن العلماء يناقشونه في الخروج مع ابن الأشعث على الحجّاج، ويحاولون إقناعه بالخروج مع ابن الأشعث على الحجّاج، ولكنه رفض الخروج وقال:"أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة مِن الله فما أنتم برادِيّ عقوبة الله بأسيافكم"، ولكنهم لم يسمعوا كلامه، ولم يأخذوا برأيه، فخرجوا مع ابن الأشعث، فقُتلوا جميعًا (سير أعلام النبلاء).

وهكذا اجتهد العلماء في الخروج، فمنهم مَن أصاب، ومنهم مَن اخطأ، وقد ترتب على فشل ثورة ابن الأشعث ازديادُ ظلم الحجاج وبطشه، ومِن اللافت للنظر: أن العلماء الذين عاصروا هذه الفتنة - وقد اختلفوا في حكم المشاركة فيها، - لم يطعن بعضهم في بعضٍ أو يخوِّن بعضهم بعضًا؛ وذلك لأنهم مع اختلافهم فإنهم يعلمون أن مسألة المشاركة هذه، مِن مسائل الاجتهاد، فهي مسألة اجتهادية، ليس فيها مخالفة للنصوص أو الإجماع أو القياس الجلي، فالعلماء لا تحرِّكهم العواطف، ولكن تحرِّكهم الضوابط الشرعية.

والسؤال هنا لماذا البحث عن الرضا السياسي؟ يمكن القول هنا بوجود مبدأ نصه: "إن الحكومات إنما تستمد سلطانها العادل من رضا المحكومين، ومع غموض مدلول هذا الرضا فلا يسهل تصور احتمال اختفاء هذا المبدأ،

ومن أجل ذلك فإن إغفال أفلاطون للقانون في دولته المثالية، لا يمكن تأويله إلا على إنه إخفاق منه في الكشف عن جانب معنوي غريب من جوانب الجماعة نفسها، التي أراد أن يبلغ بها حد الكمال"[150]، مع العلم أن تلك الجماعة لا تمثل سكان الدولة بشكل عام ولكنها تمثل من يراه أفلاطون في ذلك الوقت مواطناً يحق له الانتخاب والامتلاك، وغيرها من خصائص المواطن في دولة متعددة الشرائح والأحوال، وفي هذا التصور يتفق أفلاطون وأرسطو في ماهية المواطن فيرى أرسطو أن المواطن:"على هذا ينبغي أن يتصف المواطن بصفات القاضي والحاكم، وأن يكون في مقدوره الحكم على الأفعال، والتمييز بين العمل المحمود والعمل المذموم، وقادراً على اتباع مبادئ الفضائل، وتفادي ارتكاب الرذائل، بهذا المعنى تتكون المدن العادلة التي ينظمها دستور، وتشرف عليها حكومة متوازنة من مواطنين فاضلين، ولكن المواطن يمكن أن يظل مواطناً حتى خارج المدينة، وفي ظل غياب الحكومة وعدم التقيد بالقانون"[151] فالمواطن ليس العبد ولا الطفل، ولا المرأة، إنها الدولة الخاصة المخصصة.

أما البحث عن الرضا من طرف الحاكم في الدول المتخلفة اليوم، ومنها الدول العربية، فإنه يأتي ليس من المواطن، ولكن من قوى خارجية، وذلك

---

[150] سباين الكتاب الأول ص: 81 .

[151] د زهير الخويلدي" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

حوار يدخل في مجال فلسفة السياسة، ولكنه يحمل في جوهرة تساؤلات، منها: هل لأنهم يملكون القوة؟ وهل القول بحرية الوطن العربي وهُمُ؟ أم أن العقلية العربية ما زالت غير قادرة على تسيير أمورها؟ وفي هذه النقطة يمكن الرجوع إلى كتاب أسطورة الإطار لمؤلفه: (كارل ريموند بوبر)، ترجمة الدكتورة: (يمنى طريف الخولي) لمعرفة وجهة نظر فيلسوف من العيار الثقيل في الفلسفة الغربية، وبواقع الحال فإنه يمكن القول انه لا توجد دولة عربية واحدة حرة في سياستها وقرارها. والأغرب أنّ الكل يتقرب للغرب، فأي مشكلة بين العرب حلُّها في الغرب بكل أطيافه الشيوعية أو الرأسمالية. والأغرب أن الدول ذات الأراضي المحتلة مثل (الأردن، وسوريا، والامارات) تحارب في الخارج من أجل تحرير بعض المدن العربية على قولها، أليس غريباً؟ وعلى العموم فالباحث في تلك الدول عن الرضا السياسي، هنا لا يخرج عن صنفين، هما:

1-حاكم يبحث عن البقاء في الحكم، ويورثه لأبنائه، ولنرمز له بالرمز (م)، وذلك ما حدث فعلياً في سوريا، وهي ليست دولة ملكية كالمغرب مثلاً أو السعودية.

2-إنسان ليس له بأي صفةٍ التصرفُ كحاكم، ولم يصل إلى الحكم، ويبذل قصارى جهده لذلك، ولنرمز له بالرمز (ن)، السؤال المنطقي هنا: لماذا يبحث هذان الشخصان عن الرضا؟ ولماذا يكون الرضا الموصل

للحكم خارج إطار شعبه ودولته؟ أرى أن توظيف رؤى أرسطو في الرضا السياسي قد يكون جيداً لهذا اخترته كنموذج. استعمل ارسطو: (384-322 ق.م) المقارنة بين رحلة أديسوس الملحمية وسفينة الدولة التي يضعها أرسطو في الصورة التالية " أعضاء الدولة يشبهون الملاحين تماماً مع اختلاف وظائفهم، وسلامة الجماعة هي عملهم المشترك، والجماعة هنا هي الدولة، ففضيلة المواطن تتعلق إذاً بالدولة دون سواها"[152]، لكي يجيب على ثلاثة من أهم الاسئلة الدائمة في الفكر السياسي، هي:

1-ما إذا كانت الفضيلة للشخص الجيد هي الفضيلة نفسها بالنسبة للمواطن.

2-ما إذا كانت فضيلة الحاكم الجيد، هي الفضيلة نفسها للشخص الجيد.

3-إن كان بالإمكان تعليم الحكمة والفضيلة.

ومن أجل توضيح الصورة المنطقية لفكرته، كتب يقول إن "المواطن كالبحّار عضو في جماعة". للبحّارة الآن وظائف مختلفة، أحدهم: مُجدف، والثاني: ملاح والثالث: مراقب. وفي حين ينطبق تعريف كل فضيلة خصيصاً على شخص معين من طاقم السفينة، لكن في الوقت نفسه هناك تعريفٌ مشترك يمكن تطبيقه على كل أفراد الطاقم. ذلك أنهم جميعاً لديهم هدف

[152] أرسطو " السياسة" ترجمة، أحمد لطفي السيد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1979م، ص: 187.

مشترك، وهو "سلامة الإبحار" الذي يعني سلامة السفينة وركابها، ويستخدم أرسطو مصطلح "فضيلة" بمعنى "التميّز **excellence** في اداء الوظيفة،" وما يجعل المجدف ممتازاً هو القوة والمهارة في استخدام المجاديف، أما الملاح فهو بارع في الإبحار، والحارس أو المراقب يجب أن تكون لديه المعرفة في تفسير الغيوم والرياح والتيارات وحركة المد.

في هذا السياق لا يهم كثيراً ما إذا كان المجدفون أناساً جيدين بمقدار ما ينصب الاهتمام على مهارتهم وقدرتهم على التجديف الجيد، والشيء نفسه ينطبق على الآخرين، الكابتن يتولى تنسيق هذه الفعاليات إذا كان المجدف والملاح والمراقب يُحكم عليهم بأدائهم لنشاطاتهم المحددة، فإن الكابتن يُحكم عليه طبقاً للمقدرة على إيصال السفينة سالمة إلى الميناء، ويمكن هنا مقارنة ربان السفينة بقائد الفرقة الموسيقية، الكل يعزف وفق النوتة الموسيقية لآلاته، ولكن النغم العام هو المراد للجميع، إن طيبة المجدف حفّزت أوديسوس ليختار أهون الشرين (بين الوقوع في فخ وحش عملاق قد يلتهم السفينة كلها، أو الغوص الرهيب في تيارات بحرية هائلة)، سلطته على البحّارة لم ترتكز على القوة، أو المكانة، وإنما على الاحترام والصداقة، الذي يتولد عنه الرضا بينهم وبين قائد السفينة، فهم كان بإمكانهم عدم طاعته، في الحقيقة، بعد وقت قصير من الهروب من المأزق الخطير، رفضوا قراره في تجنّب الإغواء اللذيذ لجزيرة هيلوس. عندما تمرد: **Eurylochos**،

وهو الشخص الثاني في سلّم القيادة، وقاد المجدفين إلى الجزيرة، قال أوديسوس "أنا يجب أن استخدم القوة. أنا واحد ضد الكثرة،". لكن هوميروس أراد التأكيد على أهمية نتائج عدم طاعتهم، بعد أن تناول المجدفون طعام هيلوس تحطمت سفينتهم، ولم ينج إلا أوديسوس.

ويناقش أرسطو العلاقة بين الديمقراطية والحكمة العملية، التي من خلال العلاقة بينهما يفترض أن يتولد منها الرضا عند المواطنين، فيقول: "يتعلم المرء ليكون كابتناً للسفينة بالعمل تحت قيادة كابتن، ثم يصدر الأوامر لملاحي السفينة، والشيء نفسه المقدرة على الحكم، تعتمد على المهارات والمعرفة التي تُكتسب جيداً عبر الممارسة تحت إشراف رجال دولة ذوي تجربة، اليونانيون القدماء، فهموا أن غرس الفضائل ضروري للحكام الجيدين، والمواطنين في الدفاع ضد تضخم الذات والتلهف للسلطة والديماغوجية الانتهازية، نحن حتى وقت متأخر كنا أقل اهتماماً بهذا الخطر، أصبح الناس مولعين جداً بالانقسام الزائف بين حكومة القوانين وحكومة الناس، ونسوا أن القوانين لا تَفّرِض ذاتها، وأنما تُفرِض من جانب الناس، في هذه النقطة بالتحديد يقول أرسطو: "في جميع الدول حسنةُ النظام أول عناية يجب اصطناعها، هي ألَّا يخالف القانون في أي شيء كان، وأن

يحترس بأشد ما يكون من التحرج من أن يصاب القانون بأي أذى مهما يضعف أن تعدى حدود القانون يلغم الدولة من حيث لا تشعر"[153]

وفي إطار مسألة هيمنة القانون فإن النظم السياسية القديمة تتمسك بمثل تلك الهيمنة، يشير النص التالي إلى ذلك قائلاً: "إن الأمم الجرمانية كانت تعد القانون من عمل الشعب، وجزءاً منه، أو أنه عقد مشترك تتحد الأمة أو القبيلة تحت رأيته، فكان الواحد بينهم يزاول عمله في ظل الأمن العام أو أمن الشعب، وكانت وظيفة القانون في نظرهم أنه يهيئ الأنظمة التي تمنع الإخلال بهذا الأمن، وكان الرجل إذا ارتكب جريمة أعلن أنه خارج عن القانون، ومحروم من التمتع بأمن الشعب أو القبيلة الذي يسعد به الجميع، وإذا اعتدى على آخر، أو على أسرة من الأسر، كان نصيبه ألا ينتظر أي أمن أو سلام من الطرف المعتدى عليه، وهنا يتدخل القانون للوصول إلى تسوية تضمن منع استمرار النزاع ورد الأمن إلى نصابه"[154]، ويواصل أرسطو الحديث قائلاً: "وعندما يحصل الدجالون على السلطة فإن دفاعنا الجيد هو في الشخصيات، وأحكام الناس عنهم، وليس القوانين وحدها، طالما الدفاع عن مؤسساتنا هو بأيدي موظفي الخدمة المدنية والحكام، ألا يجب أن نعتني بتعزيز شخصياتهم وأحكامهم؟ إذا كان الجواب نعم، عندئذ فإن تدريب

---

[153] أرسطو السياسة ص: 415.

[154] جورج سباين " تطور الفكر الفلسفي" ترجمة، حسن العروسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الجزء الثاني ص: 290 .

السياسيين هو ليس سوى عمل نخبوي، ربما المؤسسات الأكثر نخبوية تفشل في إعداد المواطنين لممارسة الخدمة المدنية، مع ذلك إحدى سمات المواطنة الديمقراطية الأكثر تحدياً: (ومصدر التوتر بين الديمقراطية والليبرالية) هي أن الديمقراطية لكي تعمل جيداً، يجب على المواطنين امتلاك فضائل مدنية، ذلك يفسر: لماذا نحتاج إلى بعضنا، لنكون فضلاء؟ على أقل تقدير: الديمقراطية، تتطلب مواطنين ذوي شجاعة، ليكونوا مدافعين موثوقين عن المؤسسات الديمقراطية، اليونانيون أدركوا أنهم ليكونوا شجعان يعني: أنهم أشخاصٌ يمكن وضع الثقة بهم، ذلك النوع من الشجاعة يبرز تلقائياً أنه يجب أن يُغرس.

إذا أردنا إعداد المواطنين للحياة العامة يجب أن نذهب إلى ما وراء المدارس القديمة للتعليم المدني إن إعداد الناس للديمقراطية يجب أن يكون في قلب الرسالة التعليمية للمؤسسات والمدارس العامة. التعليم يجب أن يستلزم ترويض وتعويد الممارسين الطموحين ليشعروا ويتشاوروا ويحكموا ويعملوا في خدمة الصالح العام، إنه يجب أن يزرع فضيلة مدنية عبر تهيئة الفرص وغرس المعرفة والمهارة والتحفيز، ليكونوا مواطنين جيدين ورجال دولة، إنه يجب الحفاظ على فكرة أن السياسة فعالية نبيلة، أرسطو شكا من أن السياسيين عملوا القليل لتعليم زملائهم المواطنين كيفية التشريع، تلك الشكوى لاتزال صداها بعد ألفي سنة"، ونصل في فكر أرسطو

بخصوص الدولة وقيادتها إلى فكرة "المستبد، كلمة المستبد (Despot) مشتقة من الكلمة اليونانية ديسبوس (Despots) التي تعني رب الأسرة، أو سيد المنزل أو السيد على عبيده"[155]، وفي قاموس اللغة العربية يعني هذا المفهوم: "استبدَّ، يستَبِدّ، استبدادًا، فهو: مُستبِدّ، والمفعول مُستبَدّ به، استبدَّ الشَّخصُ بالأمر: تعسف: انفرد به مِن غير مُشاركٍ له فيه، "استبدَّ الحاكمُ بقراراته، سلطة مستبِدَّة. واستبَدَّ: حكَم بأَمْره، تصرَّف بصُورة مُطْلَقة، غير قابلٍ الاعْتِراض"[156] والمستبد صفة للشخص الذي يمارس هذا الفعل بصوره المذكورة، لغة. "كتب الدكتور (عبد الرحيم بن صمايل السلمي) عن الاستبداد السياسي قائلاً: "الاستبداد السياسي هو الانفراد بالسلطة، ومعنى استبد به: أي: انفرد به، يقال: استبد بالأمر، يستبد به: استبداداً، إذا انفرد به دون غيره.

ويكتسب الاستبداد معناه السيئ في النفس من كونه انفراداً في أمر مشترك، فإدارة الأمة وولايتها تعود إليها برضاها، فإذا قام أحد وغلب الأمة وقهرها في أمر يهمها جميعاً، وانفرد بإدارتها دون رضاها، فقد وقع في العدوان والطغيان، وهذا الاستيلاء والسيطرة على أمر الأمة دون رضا منها، يفتح أبواب الظلم والفساد وضروب العدوان، وهو ما يسمى "الاستبداد

[155] عبد الجليل كاظم الوالي" قراءات جديدة في قضايا فلسفية"مكتبة الأنجلو المصرية، 2010م، ص:162.
[156] موقع المعاني" معجم معاني اللغة العربية الجامع " معجم عربي عربي" الشبكة العنكبوتية.

السياسي،" ثم خرجت هذه الكلمة من هذا النطاق الأسري إلى عالم السياسة، لكي تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق الذي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه، ممثلة لسلطة الأب على أبنائه في الأسرة، أو السيد على عبيده، لكن حقيقة الأمر أن هذا الخلط بين سلطة الأب وسلطة الحاكم على رعاياه، ما هو إلا عملية تأويل لطغيان الحاكم يتمثله كالأب بالنسبة للأسرة؛ لأن سلطة الأب أخلاقية، فقراره مطاع، واحترامه واجب في أسرته، لكن نقل هذه السلطة إلى السياسة وعدّ الحاكم أباً والمواطنين أطفالاً أمرٌ غير مبرر"[157]. ثم إنها "تسمى السلطة السياسية" وليست "السلطة الأبوية" هذا التدرج أو نقل هذا التدرج إلى السياسة يوصل إلى مرحة الاستبداد. ويرجع مصطلح الاستبداد إلى (أرسطو) الذي قارنه مع الطغيان، وقال إنهما نوعان من الحكم، يعاملان الرعايا على أنهم عبيد، والاستبداد يراه عند البرابرة، (ويقصد أرسطو بالبرابرة البشر من غير اليونانيين، ويسميهم أيضاً الأغراب)، فهو ذو سمة آسيوية، ويعني خضوع المواطنين للحاكم بإرادتهم. لأنهم عبيد بالطبيعة، ولابد من الإشارة هنا إلى أن (أرسطو) يناقش فكرة العبد، وهل هو عبد بالطبيعة أو أنه عبد بالطبع، يقصد بالطبيعة أن المرء يولد وهو عبد، لذا فواجب عليه الخضوع لسيده، وواجب عليه الطاعة والقيام بالأعمال التي يوكلها إليه

[157] عبد الجليل كاظم الوالي " قراءات جديدة في قضايا فلسفية" الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية"، 2010م.: 162.

سيده. أما ما يقصده أرسطو بالطبع فهو أن العرف والتقاليد الاجتماعية هي التي تفرض على الإنسان أن يكون عبداً، وكانت المدرسة السفسطائية تميل إلى الرأي الثاني، وهي بهذا أقرب إلى فكرة الحرية والرضا من تصور أرسطو في حين أرسطو يميل إلى الرأي الأول، الذي يُعدُّ العبد عبداً بالطبيعة؛ لذا فهو يعد الآسيويين طبيعتهم هي هكذا، أي: هم يخضعون لحاكمهم المستبد، فهم بالطبيعة، وليس بالطبع يخضعون لحاكمهم.

هذه الرؤية يترتب عليها وجود فكرة الرضا عند هؤلاء الناس، لأن طبيعتهم كذلك، عليه فإن مصطلح (المستبد) عند أرسطو يأخذ الأبعاد التالية: (رب الأسرة) السيد على عبيده. (ملك البرابرة الذي يحكم رعاياه كالعبيد) وفكرة المستبد عند أرسطو كانت من الأفكار المتنقلة من خلال الفكر الفلسفي والمسيطرة على (مكيافلي)، حيث قارن بين الاستبداد والطغيان عندما قابل بين النظام الملكي في أوروبا والطغيان الشرقي في الدولة العثمانية، ومونتسكيو في كتابه (روح القوانين) يتخيل الاستبداد من خلال تركيا أو روسيا بأنه حكم يسوده شخصٌ واحد بلا قوانين ولا أحكام، ويُسيَّر كلَّ شيء بإرادته ومخاتلاته، ويسير هذا الشخص إمبراطوريته بالخوف من الموت بما يوحي لرعاياه من تخويف، ومونتسكيو يعد الاستبداد نظاماً طبيعياً بالنسبة للشرق، لكنه غريب وخطرٌ على الغرب، وهنا قمة عدم إدراك شعور البشر، وكذلك قمة التمييز الذي ما زال يغذي الفكر

والفلسفة الفرنسية في نظرتها العامة، وهي الفكرة نفسها الأرسطية التي يقسم فيها العالم إلى شرق وغرب، للشرق أنظمة سياسية خاصة، لا تصلح إلا له، وهي بطبيعتها استبدادية يعامل فيها الحاكم رعاياه كالحيوانات أو كالعبيد، وللغرب أنظمة سياسية خاصة، تجعل تطبيق الاستبداد يهدد شريعة النظام الملكي. و(هيغل) و(ماركس) أعادا فكرة أرسطو، وأصبح الطغيان والاستبداد هما نظام الحكم الطبيعي للشرق لأسباب ومبررات مختلفة فيما بينهما، وظهور ما يسمى نمط الإنتاج الآسيوي، وأسباب كل هذا تعود إلى بعض السمات السيئة في الشخصية الشرقية، فمثلاً شخص واحد حرٌّ هو الحاكم في الصين، فهو الأب، وأمره مطاع، وينظر إلى المواطنين قصراً، والشعب لم يخلق إلا ليجر عربة الإمبراطور، وهذا هو قدره المحتوم، صورةٌ بشعة للرجل الشرقي، كما يمثلها الصينيون القدماء في رأي هيجل. من خلال الرؤى السابقة يقدم السؤال المنطقي القائل: ما أسباب عدم الرضا؟.

....

أسباب عدم الرضا السياسي:

1-من أسباب عدم الرضا السياسي: الظلم، وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الآخرين ومجاوزة الحد، وهنا عديد الأدلة على ذلك من بينها: "حين ثابر أئمة الزيدية على الخروج على دولة الظلم، كان لا بد أن تنجح بعض حركاتهم في إقامة دول، منها: دولة الأدارسة في المغرب، ومؤسسها إدريس بن عبد الله، الزيدية الهادوية في اليمن، ومؤسسها الهادي يحي بن الحسين، الزيدية الناصرية في الديلم وطبرستان، ومؤسسها الناصر الأطروش "[158]

2-من أسباب الظلم أيضاً: عدم معرفة العلاقة بين الفعل وطبيعة المكون الذي يبنى عليه الفعل، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قول المأمون بفكرة خلق القرآن الكريم.

3-من أسباب الظلم السياسي: تولية أناس لقيادة شعوب ودول هم ليسوا في مستواها المعرفي، في كل مجالاته المعرفية، ويرتبط ذلك بالدول الاستعمارية في تنصيبها لزعماء في الدول المتخلفة، ومن بينها الدول العربية يكون بقاعدة الولاء قبل الكفاءة، ثم يطبق هؤلاء الخدم الفكرة ذاتها على المجتمع الذي يرتهن بهم. ويمكن رسم ذلك بالصورة التالية: "استعمار = يجلب خادم له عميل = عميل يجلب خام له، عميل قد يكون

[158] أحمد محمود صبحي " في علم الكلام" الجزء 3 الزيدية، ص: 10 .

خارجي مؤسسة مثلاً، إعلام مثلاً = سيطرة مطلقة = كل مقدرات الدولة تحت أيديهم = ظلم للشعب أو أغلبه.

4-في سياق الظلم السياسي يذهب حساب "**Ghiyas Scout**" في تعليق على فيسبوك إلى أن "ظلم الحكام هو سبب كل المصائب على مر الزمان، ولو نظرنا إلى التاريخ لوجدنا أن الحكام العادلين ساد في مرحلة حكمهم السلام والازدهار في كل مجالات الحياة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً؛ لأنهم يعملون من أجل بلادهم، أما الظلام فيعملون من أجل مصالحهم الشخصية.

بين الرضاءين Between the two contentments

بعد هذه الحوارية التي طبعت هذا الكتاب نصل إلى سؤال جوهري، هو: ما العلاقة بين الرضاءين؟ ويمكن إدراج العلاقة في مجموعة من النقاط أهمها:

1-الصلة: **The link** هنا تكون الصلة بين الإنسان والله، وفي هذا المعنى ننقل النص التالي:" أن عيسى عَليه السلامَ لم يجئ إلى الناس بأصل جديد من أصول الدين، ولا بأمر من الأمور العبادية لم يكن معروفاً من قبل، ولكنه امتاز بأمر واحد لم يوضحه رسول قبله، مثل تجليته إياه، وهو إعلان القرابة القريبة بين الله وعباده، فجعل الله أباً لخلقه رحيماً بهم، وهدم

الحواجز بين الله والناس"[159]، وكذلك الصلة بين الإنسان والإنسان مع ملاحظة الفارق الرضا من الله وعن الله، يختلف في طبيعته عن الرضا بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويتضح ذلك جلياً في طبيعة التشريع الإلهي للبشر، وطبيعة التشريع البشري للبشر.

2-الإكمال: **Completion** الرضا في الأديان بدأ من نقطة معينة واستمر في الطريق ذاتها، وهي فكرة إكمال الدين يدلل على ذلك قول سيدنا عيسى عليه السلام: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، وقال تعالى في القرآن الكريم " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا." سورة المائدة،الآية: (**6**).

أما التشريعات البشرية فهي قاصرة بقصور المشرعين وهي في غالبها تشريعات هدم خصوصاً في الدول المتخلفة، مثل الدول العربية في زمننا هذا، زمن القهر والهوان الداخلي، وعن الخارجي لا تجد ما تقول.

3-أن الفلسفة ليست مذهباً تام التكوين، ولا عقيدة جامدة تشكلت بصورة مكتملة، ولا تتضمن نسقاً مغلقاً، وإنما هي فلسفات أوجدها عديد من الفلاسفة، وتوجد في التاريخ، وترتبط بالواقع، وتعرف حدوث عدة

[159] أحمد شلبي" مقارنة الأديان" المسيحية (2) الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر: 1990م، ص: 265 .

تغيرات، والكثير من المراجعات بحيث تتجدد فيها المفاهيم، وتنمو عبرها المناهج، وتتوالد المقاربات، بهذا المعنى تحبذ الفلسفه التفكير الحرّ عبر آليات السؤال والحوار، وتمارس النقد والتفكيك والتأويل والتغيير، وتُشّيدُ النظريات المعرفية، وتبنى الأنساق المفتوحة، وتَدفع اللغة إلى وصف الواقع الطبيعي.

4-الإيمان: **Faith** في هذه النقطة يعرض سؤال مهم هو: ما العلاقة بين الإيمان والرضا؟ هناك من يرى:" أن على المسيحي أن يؤمن بالعقائد المسيحية، ثم يروض عقله على فهمها، وقد عبر عن ذلك القديس (أنسليم) بقوله: (يجب أن تعتقد أولاً ما يعرض على قلبك من دون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت)، ويعلق أستاذنا الإمام محمد عبده على ذلك بقوله: "والويل كل الويل لطالبِ إذا أدَّاهُ اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلق به إيمانه"[160]، هذا الإيمان المؤدي أو القائد للرضا ينطلق من عملية روحية، تسبق الاطمئنان العقلي، ثم تحاول أن تعود به للعقلنة، لكي يتم الرضا، وهذا الأمر معاكسٌ لكيفية الوصول للرضا في الجوانب الإنسانية الحياتية، مثل: الرضا عن أداء الحكومات، والجمعيات الإنسانية.

5-الرضا علاقة **Satisfaction is a relationship** بين الله والإنسان: لذلك بين الله تعالى أن هذه العلاقة لها منزلة هي منزلة الصادقين مع ربهم،

[160] أحمد شلبي" مقارنة الأديان" المسيحية 2" ص: 267 .

فلا يزال رضاهم بالله ورضاهم عنه رائد علاقتهم بربهم إلى يوم يلقونه، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة المائدة، الآية: (**119**).

واللَّهُمَّ اجعلنا من الذين رضوا عن ربهم، ومن الذين رضي الله عنهم آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وبعدُ، فلقد قدم هذا الكتاب عديد الفرضيات لمفهوم الرضا، منها علاقته بعديد المفاهيم الأخرى، مثل: مفهوم الصبر، ومفهوم الإكراه، ومفهوم الذل، ومفهوم الخضوع، وأستوضح تلك العلاقة من خلال المقارنات بينها وبينه، وكذلك من خلال المقارنة بين بقية المفاهيم، من أجل إيضاح الصورة المنطقية له، وقدم في آخر الفصل الأول محل المفاهيم الأساسية تعريفاً أجرائياً لمفهوم الرضا، نصه: "الرضا الذي ينشده الكتاب ويتفق مع طبيعة الإنسان هو: الرضا النابع من الذات الراغبة فيه، المعبرة عنه سلوكاً وقولاً وفعلاً الحافظ للكرامة، والمعبر عن الذات في أجلى صورها".

كما قدم الكتاب فرضية أخرى، مفادها: أن مفهوم الرضا له علاقة مع عدة مفاهيم، منها: مفهوم القانون، ومفهوم الفن، ومفهوم النفس.

وأشار إلى كل تلك العلاقة كان من فائدة الفرضية أنها أسهمت في وضوح الصورة وزيادة المعرفة التي ربما كانت مبهمة في بعض التصورات.

كما تناول هذا الكتاب مفهوم الرضا في نطاق العلاقة بين الله والإنسان، وحدّد الشروط الواجب اتباعها من الإنسان للوصول إلى الرضا الرباني، وفي ذلك تتفق جل الشرائع مع الدين الإسلامي، مع اليقين بأن رضا الله أمرٌ مطلق، وغير متعين، ولا يمكن وضع نسب له، لأن إدراك البشر يعجز أو غير مهيأ لتلك المعرفة.

في المقابل أشار إلى الرضا النسبي، وهو الذي يكون بين البشر، وخصوصاً في المجال السياسي، وقد عبرت عن تلك الفكرة عديد الدراسات، التي من أهمها: مبدأ العقد الاجتماعي، كما تطرق لفكرة الرضا الوظيفي وهو مفهوم يستغرق جزءاً من حياة الإنسان.

وتُعدّ الفرضية الجوهرية التي انطلق منها الكتاب في دراسته: أن مفهوم الرضا مفهوم بيني أو حقلي، بمعني أن كماً كبيراً من العلوم قادرٌ على أن يدمج هذا المفهوم في إطار دراساته وتحليلاته.

وتم التدليل على ذلك بدراسة علوم يدخل فيها مفهوم الرضا، مثل: مجال الفلسفة، وعلم الأديان، وعلم السياسية. وكانت مراجع تلك العلوم هي المصدر لأثبات تلك الفرضية. وهو ما سيلاحظ القارئ الكريم بالتأكيد. ويمكن الإشارة إلى بعض النتائج في النقاط التالية:

1-الرضا مفهوم بيني أو حقلي.

2-مثل هذه المفاهيم يمكن دراستها في الأقسام الفلسفية بصورة جماعية، بمعنى دراسة قضية من جل مكوناتها وأركانها وأثرها في المجتمع.

3-الرضا الإلهي مفهوم مطلق، يصعب على العقل البشري كشف سبر غورة.

4-الرضا البشري نسبي، وهذا يعني أنه يتغير من ظرف إلى آخر ومن مكان إلى مكان، وكذلك من عمر إلى عمر.

5-هناك عوامل عدة توجد، وتوجب عدم الرضا، وعلى رأسها الظلم بؤرة الثورات في كل أرجاء العالم وعبر التاريخ.

وفي الختام، فهذا جهد مقل قاصر، ربما يكملهُ بُحاث لهم قدرة ومعرفة أشمل. والله الموفق.

والحمد لله رب العالمين هنا انتهى هذا الكتاب

قائمة المصادر والمراجع

1-أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي" شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الجزء الأول.

2- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري" صحيح مسلم" تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، كتاب القسامة، **1991**م.

3-أفنان أبو مفرح" **8** خطوات لتشعر بالرضا عن نفسك" موقع، موضوع، الشبكة العنكبوتية.

4-ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" تحقيق، أ.د حكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، **1431** هجرية.

5-أبو الفداء إسماعيل ابن عمرو ابن كثير" البداية والنهاية" تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الجزء الثاني عشر، هجر للطباعة والتوزيع والإعلان، الرياض، السعودية، **1998**م.

6-أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني "تاريخ خليفة بن خياط" تحقق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثالثة، الناشر: دار طيبة،الرياض، السعودية، **1985**م.

7- إتيان سُوريُو" الجمالية عبر العصور" ترجمة، ميشال عاصي، الطبعة الثانية،منشورات عويدات، بيروت، لبنان، **1982**م.

8-الشيخ محمد الخضري بك" محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية" المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،مصر، **1969**م.

9-أحمد شلبي" مقارنة الأديان،" الطبعة التاسعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر: **1990**م.

10-أحمد محمود صبحي" في علم الكلام – دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين،" الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، **1985**م.

11-دائرة الإفتاء الأردنية " منظمة حكومية" مصدرها كتاب وفيات الأعيان، لابن خلكان (**14/3**)،الشبكة العنكبوتية.

12-أرسطو " السياسة" ترجمة، أحمد لطفي السيد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر: **1979**م.

13-أسعد رزق" موسوعة علم النفس" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان: **1987**م.

14-الباحث القرآني، "تفسير ابن كثير، لسورة آل عمران"، موقع على، الشبكة العنكبوتية.

15-جبران خليل جبران" حديقة النبي" نقله إلى العربية وقدم له ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، لبنان، **1972**م.

16-الجرجاني " التعريفات" تحقيق، محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.

17-الدرر السنية، المشرف العام على عبد القادر السقاف" موسوعة الأخلاق" الشبكة العنكبوتية.

18-الطبري" تفسير سورة الأعراف" موقع على الشبكة العنكبوتية.

19-الطاهر أحمد الزاوي" مختار القاموس" الدار العربية للكتاب: **1984**م.

20-العلامة المجلسي "بحار الأنوار"، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثالثة، ج ٦٦، **1983**م.

21-إلهام الحدابي" قراءة في كتاب الحكومة المدنية جون لوك" الشبكة العنكبوتية.

22-أفلاطون" الجمهورية" ترجمة، حنا خباز، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، القاهرة، مصر: **2017**م.

23-إليكس هيلي" جذور" ترجمة، عبدالحميد فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب: **1986**م.

24-الطباطبائي، السيد محمد حسين" الميزان في تفسير القرآن" مكتب الإعلام الإسلامي، الشبكة العنكبوتية.

25-القرشي، السيد على أكبر" تفسير أحسن الحديث" مؤسسة البعثة، طهران، إيران. الشبكة العنكبوتية.

26- كارول هولاهان "العلاقة بين البحث عن المعلومات في قرار الإنجاب ورضا الحياة للآباء والأمهات وغير المتزوجين"، الرضا عن الحياة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

27-إيناس فؤاد نواوي فلمبان "الرضا الوظيفي وعلاقته بالالتزام التنظيمي لدى المشرفين التربويين والمشرفات التربويات بإدارة التربية والتعليم بمدينة مكة المكرمة،" المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى بمكة: **1428**، - **1429** هجرية، درجة ماجستير: **2016** م.

28-حاجي خليفة، "كشف الظنون " **17/1**.وينظر الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، لمحمد النهروالي.

29-الحسين محمد شواط، عبد الخالق حميش " فقه العقود المالية، نشر دار الكتاب الثقافي.

30-ثابت إسماعيل الراوي" تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والأمويين" الطبعة الأولى، مطبعة الارشاد، بغداد، العراق: 1970م.

31-جون لوك " الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو" ترجمة، محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلان الشرقية.

32-جعفر السبحاني" الإلهيات" شبكة المعارف الإسلامية، الشبكة العنكبوتية.

33-جورج سباين " تطور الفكر السياسي" دار المعارف، القاهرة، مصر.

34-جميل صليبا" المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

35-حسين على" فلسفة الفن رؤية جديدة" الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر: 2005م.

36-حسين حرب" الفكر اليوناني قبل أفلاطون" الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1990م.

37-زهير الخويلدي،" حكمة الحد الأوسط في نظرية أرسطو" شبكة النبأ المعلوماتية، الشبكة العنكبوتية.

38-عبد الرزاق الكاشاني"معجم اصطلاحات الصوفية" تحقيق وتقديم وتعليق، عبد العالي شاهين، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة، مصر، **1992**م.

39-على حسين بورويس" الآثار العلمية لصفة الرضا" مجلة رسالة القلم، إسلامية ثقافية شاملة. الشبكة العنكبوتية.

40-عثمان أمين "روّاد المثالية في الفلسفة الغربية" الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، **1975**م.

41-عصام سليمان "مدخل إلى علم السياسة،" دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

42-عبد الجليل كاظم الوالي، "قراءات جديدة في قضايا فلسفية" الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى: **2010** م.

43-عماد عريان،" الأزمة الكورية، توتر حقيقي أم مشكلة نمطية ؟ عُمان للإعلان،" رئيس التحرير، سيف بن سعيد المحروقي، الشبكة العنكبوتية، **22**مارس: **2017**م.

44-فريق التحرير" الرضا تقبل قضاء الله تعالى بلا تردد ولا اعتراض" مجلة المسلم الجديد، الشبكة العنكبوتية. **17** سبتمبر، **2018**م.

45-كارولين هنري،" الرضا عن الحياة " مقالتها خصائص نظام العائلة، سلوكيات الوالدين ورضا حياة المراهقين"، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية.

46-كارل بروكلمان "تاريخ الشعوب الإسلامية" ترجمة، نبيه أمين فارس،منير البعلبكي،الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين، **1979**م.

47-وليام أرنست هوكنج" معنى الخلود في الخبرات الإنسانية" ترجمة، مترى أمين، الطبعة الأولى، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة،مصر،**19829**.

48-مرتضى شنشول ساهي "النظم السياسية في الفكر السياسي عند أرسطو" المجلة السياسية الدولية. الشبكة العنكبوتية.

49-محمد أحمد بن جزي الغرناطي المالكي"قوانين الأحكام الشرعية" عالم الفكر، القاهرة، مصر: **1975**م.

50-محب الشريف، منتدى الطريقة النقشبندية، "مقام الرضا" تاريخ النشر السبت **2013/1/5**م.

51-محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي"الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق، أحمد عبد العليم البردوني، س الطبعة الثانية، دار الشام للترات، بيروت، لبنان، الجزء، **17**

52-محمد جلال شرف" دراسات في التصوف الإسلامي" دار النهضة، بيروت، لبنان: 1984م.

53-محمّد جلال شرف" الفلسفة ومشكلاتها_ الحرية-الحقيقة-الجمال-الخير. بين الفكر اليوناني والإسلامي والأوربي" مطابع النجاح، 1974م.

54-محمد المبروك اللافي" العقود المسماة أحكام البيع والتأمين في التشريع الليبي" منشورات جامعة ناصر، طرابلس، ليبيا: 1992م.

55-محمد زكي العشماوي" فلسفة الجمال في الفكر المعاصر" دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م.

56-محمد سيد طنطاوي" بنو إسرائيل في القرآن والسنة" الطبعة الثانية، دار مكتبة الأندلس، بنغازي، ليبيا: 1973م.

57- محمّد سيد طنطاوي" تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم" الشبكة العنكبوتية.

58-محمد سهيل طقّوش" تاريخ الدولة الأموية" الطبعة السابعة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 2010م.

59-محمّد عبد الله الدليمي"النظرية العامة للالتزام " الجامعة المفتوحة، القسم الأول: 1998م

60-محمد وقيع الله حمد" مدخل إلى الفلسفة السياسية" الطبعة الأولى، شباب لعصر الثقافة، دمشق، سوريا: **2010**م.

61-مصطفى محمد عمارة" جواهر البخاري وشرح القسطلاني" .المكتبة التجارية الكبرى، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر.

62-مياسة السويدي" عن الرضا أو المهانة "، كاتبة بحرينية عن الشبكة العنكبوتية.

63-منتهى محفوظ إبراهيم الجلاد " الرضا دراسة قرآنية" " درجة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا،فلسطين، نوقشت بتاريخ: **2010/2/18**م.

64-هيجل"فكرة الجمال" ترجمة، جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: **1981**م

65-يزن محمد باسم تيم" إدارة الموارد البشرية: أساليب الإدارة الحديثة" الطبعة الأولى، الناشر فضاءات للنشر والتوزيع: **2018**م.

66-فواز صالح "الموسوعة العربية القانونية المتخصصة" أركان العقد" الشبكة العنكبوتية.

67-موقع المعاني "معجم معاني اللغة العربية الجامع" معجم عربي عربي" الشبكة العنكبوتية.

68-موقع، "المسيحي الحر" الشبكة العنكبوتية.

69-موقع، ويكيبيديا الموسوعة الحرة "رضا خلق" الشبكة العنكبوتية.

محتويات الكتاب

إهداء...5
المقدمة Introduction...6

الفصـــــــــــــــــــــــــــــــل الأول

مفاهيم Chapter one concepts...........................17

الفصـــــــــــــــــــل الثـــــــــــــــــــاني

"فكـرة الرضـا فـي الفلسـفة": The idea of contentment in philosophy...82

الفصـــــــــــــــــــل الثالـــــــــــــــــث

"الرضا في الجانب الديني"Satisfaction on the religious side.103

الفصـــــــــــــــــــل الرابـــــــــــــــــع

"الرضا السياسي" Political satisfaction..........................130

الخاتمة...165
قائمة المصادر والمراجع...168
محتويات الكتاب..178

للتواصل مع الكاتب

د: محمّد حسين محجوب

دولة ليبيا

جامعة بنغازي

كلية الآداب

قسم الفلسفة

مفهوم الرضا بين الله والإنسان

فلسفة أدبية

د. محمد حسين محجوب

الطبعة الأولى
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com